

- العنوان: الناحية التطبيقية للجيوبولتيك في السياسة الخارجية الأمريكية : موقع حلف شمال الأطلنطي من الجيوبولتيكا الأمريكية
- المصدر: مجلة كلية الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية
- الناشر: جامعة الإسكندرية - كلية الحقوق
- المؤلف الرئيسي: امام، قدري محمود إسماعيل
- المجلد/العدد: ع 2
- محكمة: نعم
- التاريخ الميلادي: 1999
- الصفحات: 395 - 444
- رقم MD: 142946
- نوع المحتوى: بحوث ومقالات
- قواعد المعلومات: IslamicInfo, EcoLink
- مواضيع: الاستراتيجية العسكرية، الولايات المتحدة الأمريكية، السياسة الخارجية، العلاقات الخارجية، حلف شمال الاطلنطي، الجغرافيا السياسية، الاستراتيجية الأمنية، الأمن الدولي، التحالفات الدولية، صناعة الأسلحة، تصدير الأسلحة، تجارة الأسلحة، العولمة، الصراع الدولي، الهيمنة الأمريكية
- رابط: <http://search.mandumah.com/Record/142946>

الناحية التطبيقية للجيوبولتيكا  
في السياسة الخارجية الأمريكية  
(موقع حلف شمال الأطنطي  
من الجيوبولتيكا الأمريكية)

بحث مقدم من

دكتور/ قدرى محمود إسماعيل امام

المدرس بقسم العلوم السياسية

كلية التجارة - جامعة الاسكندرية



## موضوع البحث:

على الرغم من أن البعض لا يربطون بين النظريات الجيوبوليتيكية ومجريات السياسة الدولية والتحالف العسكري، إلا أننا نؤمن بأن الدولة العملاقة Super power تأخذ بأسس هذه النظريات فيما يتعلق بسياستها الدولية للسيطرة العالمية.

إن النظريات الجيوبوليتيكية هي بمثابة الأساس الذي وضع لتسير وفقاً له السياسات الخارجية للدول الكبرى، فقد أشار راتزال إلى تلك الرابطة التي أوجدها بين المساحات القارية الكبيرة للدولة وبين القوة السياسية، إن الصغرات التي تطرأ على الشكل السياسي للدولة والمكان والموقع هي في نظر راتزال عوامل أساسية وجوهرية في قوة الدولة في المجال الدولي، وقد ربط ماكيندر أيضاً بين المساحات الضخمة والواقع المكاني وقوة الدولة وأعطاهها هاسهوفر المكانة الأولى في العالم، وقد ارتبط اسم ماكيندر بنظرية قلب الأرض الاستراتيجي Heart land وهي النظرية التي شغلت الباحثين الألمان وعملوا على وضعها في الاستراتيجيات الألمانية لتفنيها للسيطرة العالمية وهو ما تم بالفعل.

إن قلب الأرض إبدأً وفقاً لنظريات ماكيندر هي ذلك الجزء الداخلي من أور آسيا وهو مركز العالم سياسياً وقد حذر من أن حكم قلب أكبر كتلة أرضية في العالم يمكن أن يعطي الأساس التي تبنى عليه السيطرة العالمية. لذلك حذر ماكيندر من خطورة قيام تحالف بين ألمانيا وروسيا لأن سكان هذين البلدين يمثلون منطقتي قلب الأرض بما يتيح لهم الإيقاع بالأمبراطورية البريطانية لذلك دعا ماكيندر لسياسة جيوبوليتيكية قُدِّف إلى تقارب روسي/ بريطاني ومن ناحية أخرى أعطى ماكيندر أهمية ماثلة لأهمية قلب الأرض لما سماه وحدة أقليم الأطلنطي الشمالي واعتبرها قوة موجهة إلى قلب الأرض ومهددة له.

ومن المعارف عليه أن فكرة منطقة القلب تلائم عالمياً سيدخل الحرب، وهذا هو السبب الذي دفع العاملين في حقل الجيوبوليتكس أن يهتموا بها. خاصة هاسهوفر K. Haushofer الألماني الذي أهتم بكتابات ماكيندر واستخلص منها بأن طريق الألمان للسيطرة العالمية يسير وفق الخطوط التي أرعبت الإنجليز ألا وهي توحيد المناطق العظيمة في كل من روسيا وألمانيا.

كذلك نجد إعتراضاً صريحاً من جانب واضعي الاستراتيجيات الحكومية في الدول الغربية والولايات المتحدة وحلف شمال الأطلنطي الذي نشأ لأسباب جيواستراتيجية بأن ماكيندر كان على حق في آرائه، لذلك أصبح الاستراتيجيون الغربيون ينظرون إلى العالم نظرة ماكيندر، ومن ثم فالاستراتيجية الغربية بأحلافها العديدة، ماهي إلا محاولات من جانب واضعوا هذه الاستراتيجية لتطبيق القوى السوفيتية، أو بعبارة أخرى لتطبيق منطقة قلب الأرض.

(١) د. عبد المنعم عبد الوهاب، جغرافية العلاقات السياسية، منشورات الوحدة للنشر والتوزيع، ١٩٧٧، ص ١٦٠

من ناحية أخرى أرتضت السياسة الخارجية الأمريكية بالمبادئ الاستراتيجية التي وضعها ماهان A.T. Mahan واتخذت منها أساساً صالحاً لاستراتيجيتها العالمية، أن الفكرة الأساسية من إنشاء قواعد استراتيجية في مناطق بعيدة عن حدود أرضها تقوم على اعتبار هو أن بعد مراكز دفاعها الخارجية يتيح هذه المراكز إمكانية القيام بهدفين هما:

١ - خلق طريق الوصول إلى أراضيها بوجه المعتدي.

٢ - جعل احتمال هجوم قواتها قريباً من مراكز العدو الحساسة.

وارتباطاً بالأفكار الاستراتيجية البحرية لماهان نجد أن محيط الدفاع الأمريكي يعتمد من قواعدها في البحر الكاريبي إلى نيوفوندلاند وجرينلاند وأيسلاند والمملكة المتحدة وأوروبا الغربية وجزر الأزور وغيرها، وكل هذه المناطق تمثل مناطق دفاع أمريكي تعتمد على قوتها البحرية.

ومن أهم الأفكار التي ارتبطت بها السياسة الخارجية الأمريكية أفكار نيكولاس سبيكمان (N.Spykman) في شأن منطقة الأطار Rimland وتضم أوروبا الغربية والشرق الأوسط والهند وجنوب شرق آسيا، وأوضح سبيكمان أن نجاح تكوين وحدة، أوربية غربية يتوقف على أن تفرض أوروبا الموحدة سلطانها المطلق على البحر المتوسط من الشرق الأوسط ثم السيطرة على بقية أفريقيا تمهيداً للاستيلاء على بقية دول الإطار.

كل هذه الأفكار أوجدت الناحية التطبيقية للجيوبولتكس في السياسة الخارجية الأمريكية، فهي لم تتجاهل تلك النظريات خاصة بعد الحرب العالمية الثانية في مواجهة السوفيت، فقد أخذت بكل الوسائل العسكرية والاقتصادية والجغرافية، ووضعتها في خدمة سياستها الخارجية لتحد من إمكانية التوسع لمنطقة قلب الأرض خاصة بعد أن سيطر الاتحاد السوفيتي على شرق أوروبا وأدخله ضمن مجاله الجغرافي.

لقد اتجهت الولايات المتحدة بقوة إلى أوروبا حتى لا تسقط في قبضة الشيوعية، فمن الناحية الاقتصادية أخذت بمشروع مارشال ومن الناحية الجيوستراتيجية اتجهت إلى سلسلة الأحلاف لتطويق منطقة القلب، وجعلته قلب حبيس واتجهت في عهد دالاس إلى ربط مناطق مهددة من العالم خاصة تلك المناطق التي تقع ضمن نظرية الأطراف لسبيكمان والتي تتماشى مع مناطق الهلال الخارجي لنظرية ماكيندر، لذلك أقامت مجموعة من الأحلاف أهمها حلف شمال الأطلسي (Nato)، ثم حلف بغداد (Cento)، وحلف جنوب شرق آسيا (Seato)، وحلف الانزوس (Anzus) وهي أحلاف لتطويق منطقة قلب الأرض الاستراتيجية.

إن حدود حلف شمال الأطلسي بصفة خاصة تتماشى مع المناطق التي حددها سبيكمان في نظرية الأطراف Rim land والتي دعا فيها إلى إيجاد قوة عسكرية جبارة قيمتها عليها الولايات

المتحدة وتسيطر على مناطق الهلال الخارجي (ومن ثم تستطيع أن تطوق منطقة القلب ومن ثم تمهيداً للسيطرة العالمية)

ولم تترك الولايات المتحدة أي مسلك لفرض سيطرتها ولتطويق منطقة القلب فقد ارتبطت بآراء دي سفوسكي الذي اقترح إنشاء إستراتيجية جوية أمريكية واقترح سيطرة الولايات المتحدة على القطب الشمالي والمنطقة القطبية وبالفعل أنشأت الولايات المتحدة ذلك الخط الراداري وأسمته distance early warning والذي من ثناياه يتم التعرف على التحركات السوفيتية بدقة.

من الواضح أذن أن الولايات المتحدة أخذت بالافكار الجيوبوليتيكية في المجال السري (ماكيندر) وفي المجال البحري (ماهان) وفي المجال الجوي (دي سفوسكي) ولذلك تكون الولايات المتحدة قد ارتبطت بالافكار الجيوبوليتيكية ومن المعروف أن حلف شمال الأطلسي هو أكثر الأحلاف التي تعتمد عليها الولايات المتحدة فليس من المستبعد إذن أن يكون هذا الحلف هو أول مستقبل ومنفذ للجيوبوليتيكا والاستراتيجية الأمريكية.

هدف البحث:

توضيح الناحية التطبيقية للجيوبوليتيكا في السياسة الخارجية الامريكية في ظل الأوضاع السياسية الجديدة، وموقع حلف شمال الأطلسي منها.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج العلمي منهجاً للتفسير والوقوف على حقيقة الأفكار الجيوبوليتيكية وموقع حلف شمال الأطلسي منها.

المحتوى البحثي:

أولاً : طبيعة حلف شمال الأطلسي في ضوء الجيوبوليتيكا الأمريكية.

ثانياً : الناحية التطبيقية للجيوبوليتيكا في السياسة الخارجية الأمريكية بعد انحلال U.S.S.R.

١ - أهمية الحلفاء بالنسبة للجيوبوليتيكا الأمريكية.

٢ - العلاقة الارتباطية بين الأمن الأمريكي والأمن الأوروبي.

ثالثاً : أثر انحلال الاتحاد السوفيتي على العقيدة الجيوستراتيجية للحلف.

رابعاً : تطور العقيدة الاستراتيجية والأمنية للحلف في ضوء الجيوبوليتيكا الأمريكية الجديدة.

خامساً : عولمة الأطلسي (السيطرة العالمية للحلف).

## أولا : طبيعة حلف شمال الأطلسي في ضوء الجيوبوليتيكا الأمريكية:

في إطار النسق الدولي ثنائي القوى القطبية كانت كل من القوتين القطبيتين المتنافستين بل والمتعاديتين يحكم موقعها في النسق، تسمى إلى أن تكون دائما على درجة من القسوة بحيث لا تصبح تحت رحمة القوة القطبية الأخرى، وهي تحقيقا لذلك تلجأ إلى أساليب من أهمها الأحلاف وللأحلاف دورها كأساليب لتحقيق ميزان القوة في النسق ثنائي القوة القطبية فكل لاعب رئيس هو يحكم هذا التعدد - العدو المرتقب والحليف المحتمل في نفس الوقت لأي لاعب آخر الأمر الذي يجعل من أحلاف هذا النسق أحلاف هشة لا دوام لها، ذلك بينما في النسق ثنائي القوى القطبية، يتعاضد القطبان بحكم موقعهما عداء دائما الأمر الذي يجعل على أحلاف كل منها طابع الدوام، وفي الأنساق المتعددة القوى القطبية لا يعرف الحلف دولة تتراسه بينما في النسق الثنائي يمثل الحلفاء لإرادة الدولة القطبية<sup>(١)</sup>.

والحلف الذي نحن بصدد (حلف شمال الأطلسي) هو من نوع الأحلاف التعاقدية - فهو التزام تعاقدي بين عدد من الدول يوجه عادة ضد دولة - دول محددة وينشأ عنه منظمة تعمل على تنفيذ أهداف الالتزام وهي عادة تسم بطابع رسمي مع وجود معاهدة أو اتفاق.<sup>(٢)</sup>

إن نشأة حلف شمال الأطلسي وإن أرتبطت بالتحولات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية فهو يختلف عن الأحلاف الأخرى التي ظهرت في تلك الفترة فهو لم يعلن صراحة على أنه موجه لأحد ولذلك فقد فتح باب العضوية لكل الدول الأوربية بما فيها الاتحاد السوفيتي لذلك يمكن القول أن هذا التحالف كان أقرب إلى العصبة أو التكتل منه إلى الحلف.

إن مفهوم الكتلة (International Bloc) يعني إتباع عدد من الدول لخط مشترك في مجال السياسة والدفاع والاقتصاد والتجارة<sup>(٣)</sup> وقد يكون هذا التكتل موجهاً ضد مجموعة أخرى أو أن يكون هدفه التعاون بين الدول الداخلة فيه.

لقد انتهت أحداث الحرب العالمية الثانية ونتائجها بالعالم إلى قوتين قطبيتين أثنيتين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. وهما قطبان عالميان، لا أوروبيان، وعلى عكس الحال في النسق متعدد القطاب وحيث كان اللاعبون الرئيسيون ينتمون جميعاً إلى القوى الأوروبية. أهما قطبان عالميان بموقعهما الجغرافي ويتواجدان العالمي، فالإتحاد السوفيتي يعمل من موسكو إلى من (قلب الأرض) القديمة (أوراسيا) متجهاً بقوقاً القطبية من العالم الجديد (أمريكا)

(١) د. محمد طه بدوي، النظرية العامة للعلاقات الدولية، المكتب المصري الحديث، ١٩٩٢، ص ٢٦٨.

(٢) David Edwards "International Political Analysis Holt Rinhat and Winston Inc., New York, p. 206.

(٣) د. حماد جاد، حلف الأطلسي، مهام جديدة في بيئة متغيرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٩٨، ص ٢٢.

نحو امبراطورية تمتد وراء البحار. أمما - إذن - امبراطوريتا: البر السوفيتية والبحر الأمريكية التي سعت كل واحدة منهما إلى التواجد العالمي، الأمر الذي أستبعه - بحكم توازنهما في القوة - تواجدهما الثاني على أرض العالم الثالث ولكي يتخذا منها هدفاً وملعباً لهما في نفس الوقت.

والاستراتيجية الجغرافية لأمبراطورية البر السوفيتية - أو أن شتا "امبراطورية السدب" - تشارك استراتيجية امبراطورية البحر الأمريكية - أو أن شتا "امبراطورية الخوت" - نفس الملامح الشكلية فكلاهما يتشكل في دائرتين: (الكتلة) أو (الامتداد)، ولكل من هاتين الدائرتين طبيعتها ووظيفتها في بناء قوة القطب والتأكيد لاستمرارها فماذا تعني بكل من (الكتلة) و (الامتداد) هذين، في النسق الدولي العالمي الراهن.

إن صورة توزيع القوى التي أسفرت عنها نتائج الحرب العالمية الثانية هي التي هيأت - وبمكانياتها ذاتها - إلى ظاهرة الكتلة Bloc الجديدة.

لقد أخرجت تلك الحرب بعض اللاعبين الرئيسيين القدامى من صف اللاعبين كما هبطت بالعض الآخر إلى مرتبة لاعبي الدرجة الثانية، فلم تترك بالنسبة للاعبي الدرجة الأولى - أي بالنسبة للاعبين الرئيسيين الذين يقررون دائما صورة النسق - إلا لاعبين اثنين هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. وبهذا الواقع الجديد لثنائية القوى القطبية، ترتبط ظاهرة (الكتلة).

إن ثنائية القوى القطبية تعني طبيعتها التالاس بين القوتين بل أن القوتين القطبيتين يتعاديان بحكم موقعهما هذا في سلم القوى داخل النسق، أي حتى في غيبة أية صورة للتصادم بين المصالح المادية أو الأيديولوجية ومن حتمية هذا العداء بحكم الموقع، كان السعي المتواصل من جانب كل من القطبين إلى التحصين الذاتي في مواجهة الآخر، ومن ثم من أجل الإبقاء على (ميزان القوة) بينهما. وهنا تبرز ضرورة الالتجاء إلى (سياسة التحالف)، ولكن التحالف هذه المرة قد راح يرتبط بعوامل جديدة جعلت منه ظاهرة (الكتلة Bloc).

(فالكتلة) حلف، غير أنه حلف من نوع جديد، استدعت في هذه النوعية المنافسة الأيديولوجية بين القوتين القطبيتين في النسق الدولي الراهن والتي تراكم عليها العداء الختمي بينها بحكم موقعهما في النسق. ولما كانت المنافسة بين أيديولوجيتي القطبيين (الشيوعية والرأسمالية) هي بالضرورة دائمة فإن الأحلاف التي تقوم في خدمتها لا بد أن تكون عاملة على الدوام، فلا تعترف بالتمييز التقليدي بين أوقات السلم وأوقات الحرب، وفي هذا تكمن عوامل (نوعية) ظاهرة الكتلة الجديدة

لقد كانت الاحلاف فيما مضى تقوم - بصفة أصلية - على الالتزام بالمساعدة العسكرية في حالة نشوب الحرب، وقلما كانت تعني حتى بمجرد تنظيم الاتصال بين القيادات المتحالفة من



أجل رسم الاستراتيجيات المشتركة استعداداً لحالة الحرب. ومن ثم فإن الحلف في مفهومه التقليدي كان يرم لكي لا يعمل إلا في أوقات الحرب دون أوقات السلم. وفي هذا المجال تتمثل (نوعية الكتلة) في أنها لا تعرف هذا التمييز بين الحرب والسلم فهي تعمل عملاً متواصلًا، بتنظيم دائم ذي وظائف وأهداف دائمة، وذلك تبعاً لدوام التنافس الأيدلوجي بين القطبين من ناحية، وتبعاً لعدائهما الدائم بحكم موقعهما في النسق من ناحية أخرى، وهذه النوعية راحت كل كتلة من الكتلتين الجديدتين القطبيتين ترتبط بوحدة أيديولوجية وبحلف عسكري تقوم عليه منظمة دائمة تجعل من أعضائه عصبه عاملة في مواجهة العصبه الأخرى في وقت السلم وفي وقت الحرب على السواء، وفي شتى المجالات العسكرية والاقتصادية والأيدلوجية، وهذا ولنا في حاجة إلى القول أن ثنائية القوى القطبية في النسق ثنائي القطبية أضافت إلى معالم نوعية ظاهرة (الكتلة) في مواجهة (الحلف التقليدي)، خاصية أخرى تمثل في أن الحلف في (الكتلة) يعمل بزعامة دولة قطبية تواجهه كتلة الدولة الثانية، بينما لم تكن الدول أطراف الأحلاف القديمة تسأتمر بدولة تتزعم الحلف.

وجملة القول إذأ في شأن نوعية (الكتلة) - في مواجهة (الحلف) التقليدي - أن (الكتلة) عصبه أيديولوجية عسكرية تعمل حتى في أوقات السلم، بينما العصبه - في الحلف التقليدي - لا تتحرك إلا في أوقات الحرب.

وهذه الخصائص التي تظهر بها الكتلة على الحلف التقليدي، تتجه الكتلة إلى فكرة التكامل الأيدلوجي الاقتصادي والسياسي تحت زعامة الدولة القطبية، الأمر الذي يجعل من كل من الكتلتين الدائرة الثابتة لدولتها الزعيمة والتي يعين على الدولة القطبية الثانية التي تمتع عن أي عمل فيه مساس بمحدودها وإلا فأما تكون قد أدخلت بصورة التوزيع العالمي للقوى، ومن ثم بميزان القوى بين القطبين، وهو أمر لا يقبل عليه أي من القطبين بحتمية (الائتاء الذاتي) المتبادل بعامل (التوازن النووي).

وهذه الصورة العاملة (للكتلة) نستطيع القول أن كل من الكتلتين كتلة: حلف وارسو المبرم في ١٤ مايو ١٩٥٥ بزعامة الأتحاد السوفيتي، وكتلة: حلف الأطنطي المبرم في ٤ أبريل ١٩٤٩ - هي في دولتها القطبية بمثابة العصبه الدائمة والدائرة الثابتة، فبالنسبة للكتلة السوفيتية، وهي (الدائرة الثابتة للقطب الشيوعي في أوروبا الشرقية، فإنها تتكون (بحلف وارسو المبرم في ١٤ مايو ١٩٩٥) بزعامة الأتحاد السوفيتي من.. البانيا - ألمانيا الشرقية - بلغاريا - المجر - بولندا - تشيكوسلوفاكيا - رومانيا ثم أخرجت ألبانيا من الحلف على أثر الخلاف المذهبي بينها وبين الأتحاد السوفيتي وانحيازها للصين الشعبية. فلو أننا أضفنا إلى هذه الكتلة العالم السوفيتي في آسيا لتصورنا الأبعاد الجغرافية الاستراتيجية للأمبراطورية السوفيتية والتي بلغت عام ١٩٦٣ اثنتا عشر دولة،

سبعة منها في أوروبا الشرقية وحسة في آسيا مشكلة بذلك امبراطورية البر التي تنطلق من قلب الأرض القديمة (أوراسيا) لتمتد في أوروبا غربا وفي آسيا شرقا متجهة نحو أطراف كل من القارتين. ولقد كان على الولايات المتحدة أن تدخل ذلك في الاعتبار عند تصوير جغرافيتها الاستراتيجية في آسيا. لقد كان عليها أن تطوق دائرة الدب الثابتة في أوروبا وآسيا بمجموعة من أحلاف تقيمها على أطرافها ففسد بها الطريق في وجه الشيوعية إلى الغرب، فكانت الدائرة الثابتة لأمبراطورية البحر الأمريكية. والتي تشكلت على أساس من مجموعة من أحلاف، أتم حلفها الأكبر (حلف الأطلسي، بسامات (الكتلة) فكانت الكتلة الغربية (والتي انعقد حلفها في ٤ أبريل ١٩٤٩) بزعامة الولايات المتحدة وعضوية: إنجلترا - فرنسا - كندا - بلجيكا - أيرلندا - الدنمارك - هولندا - إيطاليا - النرويج - لكسمبورج - البرتغال - ثم ألمانيا الغربية واليونان وتركيا فيما بعد، وذلك في مواجهة الكتلة السوفيتية شرق أوروبا. ثم كانت مجموعة الأحلاف التي أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تطوق بها امبراطورية الدب البرية في آسيا ولكي تغلق بها (طريق لينين) المرتقب إلى الغرب.. أتفاقات دفاعية مع كل من اليابان وفرموزا - حلف ١٩٥٢، ومع أستراليا ونيوزيلندا A.N.Z.U.S - حلف جنوب شرق آسيا لعام ١٩٥٤ OTASE .. من الولايات المتحدة - المملكة المتحدة - فرنسا - أستراليا - تايلاند - الفلبين - باكستان) - ثم الحلف المركزي CENTO - ١٩٥٩ - (حلف بغداد سابقا) ويضم بريطانيا العظمى - تركيا - إيران - وباكستان وتويده الولايات المتحدة الأمريكية عسكريا.

وهكذا تتصور الدائرة الثانية لأمبراطورية البحر الأمريكية في خريطة تمثل تواجدها العالمي من خلال بحار. فهي تنطلق من إحاطتها الكاملة بالقارة الأمريكية إلى ما وراء المحيط لتضرب - بالأحلاف - طوقا ساحليا حول دائرة الدب البرية الثابتة في أوروبا وآسيا والتي تنطلق من قلب الأرض متجهة إلى جنوب وجنوب شرق آسيا وإلى الشرق الأوسط باعتبارها أقرب الطرق المؤدية إلى الغرب.

ومفهوم الكتلة بهذا المعنى أشمل وأعم من مفهوم الحلف لذلك نستطيع القول بأن الحلف قد يمتد عمله من المجال العسكري والدفاع فقط إلى العمل في مجالات أخرى ويتأتى ذلك نتيجة مجموعة من العوامل:

١ - تبني دول الحلف سياسات واحدة فترة زمنية كبيرة تؤكد على قدرتهم على تطويره للعمل في مجالات أخرى.

٢ - رغبة الدول المكونة له في استمرارية عمل الحلف وتوسيع نشاطه.

٣ - إحساس الدول المكونة للحلف أن في بقاءه تحقيق مصالح مشتركة لجميع أعضائه.

٤ - رغبة الدولة القطب في استمرارية عمل الحلف برغم من إنتفاء الصفة العدوانية له ارتباطاً برغبتها في التعامل مع الحلفاء أو استمرار ربطهم بسياسة الدولة القطب.

٥ - إن الدولة القطب في سعيها للسيطرة العالمية لا تستطيع منفردة أن تعمل بحرية لذلك فهي تحتاج لحلفاء على درجة من الاستعداد تمكنهم من العمل معها في مناطق عالمية لذلك تتجه الدولة القطب إلى تسليح حلفاؤها.

إن استمرارية عمل الحلف فترة زمنية كالية إنما يضافي على الحلف مجموعة من الخصائص مميزة عن الأحلاف العسكرية وتقربه من شكل المنظمات، أن حلف شمال الأطلسي منذ أنشاءه حتى اليوم أثبت انه من أكثر الأحلاف استمرارية وقدرة على العمل وتعاون بين أعضائه. لذلك تميز الحلف بميزان تقربه من فكر المنظمات من أهمها:

١ - الاستمرارية: فقد أستمّر عمل الحلف منذ إنشائه وحتى اليوم نظراً لاستمرارية أعماله.

٢ - الذاتية: ويمكننا القول بأن هذا الحلف لم يرقى بعد إلى درجة أن تصبح المعاهدة المنشأة له دستوراً ومن ثم يكون له صفة الذاتية والالتزام والقدرة على فرض الجزاءات، كما أننا نستطيع القول أن المعاهدة المنشأة للحلف لم تعطي الحلف القدرة على مخاطبة اعضاءه والزامهم إلا ان التجارب والتعاون بين أعضائه أتاحت لنا الفرصة للقول بأن الحلف يستطيع بالفعل الزام أعضائه باتباع مسلك معين وإن كانت فكرة الالتزام ليست بنفس المستوى القانوني لها إلا أننا لا ننسى الطابع السياسي هنا.

وارتباطاً بفكرة الاستمرارية الذاتية أصبح للحلف أجهزة خاصة به وجهاز وظيفي يعمل

لتحقيق أهدافه.

"الكتلة إذن هي حلف، غير أنه حلف من نوع جديد، إستدعت هذه النوعية المنافسة الايديولوجية بين القوتين القطبيين، ولما كانت المنافسة بين القطبين هي بالضرورة دائمة فإن الأحلاف التي تقوم في خدمتها لا بد وأن تكون عاملة على الدوام، فلا تعترف بالتميز التقليدي بين أوقات السلم وأوقات الحرب، وفي هذا تكمن عوامل (نوعية) ظاهرة الكتلة الجديدة"<sup>(١)</sup>.

إن ثنائية القوى القطبية تعني بطبيعتها التنافس بين القوتين حتى في غيبة أي صورة للتصادم بين المصالح المادية أو الايديولوجية، إن هذا الانقسام هو انقسام بحكم الثنائية حتى مع غياب الايديولوجية، لذلك فقد أتجه كل قطب إلى تحقيق ذاته في مواجهة القطب الآخر، وهنا برزت ضرورة اللجوء إلى سياسة التحالف، ولكن التحالف هذه المرة قد راح يرتبط بعوامل جديدة جعلت من ظاهرة الكتلة BLOC والتي تعمل في أوقات السلم أو في أوقات الحرب.

(١) د. محمد طه بدوي - مرجع سابق - ص ٢٨٦.

إن الخصائص التي تظهر بها الكتلة على الحلف التقليدي يؤكدتها استمرارية عمل حلف شمال الأطلسي حتى اليوم.

" لقد كان على الولايات المتحدة أن تطوق دائرة قلب الأرض الاستراتيجي في أوروبا وأسيا بمجموعة من الأحلاف تقيمها على أطرافها، فكانت الدائرة الثابتة لإمبراطورية البحر الأمريكية والتي تشكلت على أساس مجموعة من أحلاف. أتم حلفها الأكبر (حلف الأطلسي) بسمات الكتلة، ثم كانت مجموعة الأحلاف الأخرى مجرد اتفاقيات دفاعية" (١).

وكتلة شمال الأطلسي ليست ائتلافا Coalition فالائتلاف إذا يعني اتفاق مجموعة من الدول على تحقيق هدف أو أهداف محددة يعني علاقات غير رسمية بعيدة المدى ولذلك يتميز الحلف عن الائتلاف في الآتي: (٢)

- ١ - غياب العلاقة التعاقدية الرسمية.
- ٢ - غالبا ما يتم استعدادا للحرب أو بعد بدئها.
- ٣ - محدودة مجالات التعاون.
- ٤ - غالبا ما تنتهي بإنهاء السبب المباشر لتشكيلها.

وأهم ما نود الإشارة إليه هنا أن الأحلاف غالبا ما يأتي ذكرها ارتباطا بالانقسامات الدولية الحادة ووجود أحلاف مضادة، أما حلف شمال الأطلسي فقد اتسم عمله بالدوام بعد اقيار عمل حلف وارسو بصفة غير رسمية واستمر عمله أيضا بعد اقيار الاتحاد السوفيتي. إلا أن اقيار الاتحاد السوفيتي لا يعني أنه أصبح من الأصدقاء فما زال الاتحاد السوفيتي يمثل العمود الرئيسي المتمركز في منطقة قلب الاستراتيجي، إذن مازال هناك عدو، يستدعي فيه استمرارية التكتل لمواجهة أجلا أو عاجلا. لذلك تنتحي فكرة التحالف لتظهر فكرة التكتل السياسي.

إن فكرة التكتل هي انسب إلى البنيان الدولي أحادي القطبية<sup>٣</sup> Unipolar System وذلك عندما يحدث تركيز كبير للموارد لدى دولة واحدة أو مجموعة متجانسة من الدول بحيث تسود البناء الدولي بأسرة<sup>(٤)</sup>.

(١) مرجع سابق - ص ٢٨٨.

(٢) د. عماد جاد - مرجع سابق - ص ٢٢.

(٣) د. ممدوح محمود منصور - مفهوم النظام الدولي - دراسات استراتيجية - مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية - العدد ١٧ - ص ٧.

(٤) مرجع سابق، ص ٢٤.

ولقد ذهب عن إلى أن الأحلاف التي تتشكل ضد طرف ما سرعان ما تتحلل بعد تحقيق الهدف، إلا إذا تم تطوير أيديولوجية للحلف تبرر بقاءه بعد تحقيق هدفه، أو استمرار وجود القوة المحورية في الحلف أو ما يسمى Core Power<sup>(١)</sup> وفي حلف شمال الأطلسي يتحقق الشرطان.

ويرى آخرون أن مرور فترة أطول على بقاء الحلف تعني زيادة شرعيته، وإيجاد أسباب قوية للحفاظ عليه، ويتوقف الأمر في النهاية على الآليات التي يخلقها الحلف للتنسيق والتعاون<sup>(٢)</sup> كما أن هناك خمسة عناصر تحدد استمرار وإنهاء الأحلاف الدولية وهي:<sup>(٣)</sup>

#### ١ - القوة (قوة الدولة المهيمنة):

إن وجود قوة مهيمنة يعتبر أحد عوامل استمرارية الأحلاف الدولية، فوجود قوة مهيمنة تستطيع أن تسيطر على متغيرات الحلف وتؤيد استمراره سواء بعمليات التهيب من عدو أو بعمليات الترغيب عن طريق تقديم المزايا للحلفاء.

ويرى والت أن هذا المصدر يتطلب شرطين:

الأول : أن يكون لدى الحليف القائد القدرة على تحمل المزيد من التكاليف.

الثاني: أن يعهد الحليف القائد بالحفاظ على قوة العلاقة ويكون مستعداً لبذل الجهد اللازم للحفاظ على الحلفاء من الانشقاق<sup>(٤)</sup>.

٢ - المصداقية: يرى والت أن الأحلاف تستمر مع استمرار المصداقية بين الحلفاء وتفكك إذا ما ساد الشك بينهم.

٣ - إدراك التهديد.

٤ - إدراك أهمية استمرار الحلف.

٥ - اثر المؤسسية ويقصد (مدى وجود منظمات مسئولة رسمية عن أداء مهام الحلف).

إن اتباع دول الحلف لمسلك مشترك في المجالات المختلفة يؤكد لاستمرارية الحلف وتحوله إلى شكل من أشكال التكتل، وهذه الاستمرارية توضحها هيكلية التنظيم داخل الحلف حيث يتسم "بوجود بنية تنظيمي هرمي تعلقته قوة مهيمنة.

(١) مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) مرجع سابق، ص ٤٦ نقلا عن:

patric James, Structural Realism and the causes of war mass: Adism. Wesley, 1979, pp. 128-137.

(٣) د. عماد جاد، ص ٢٦.

(٤) د. عماد جاد، ص ٤٦ نقلا عن:

Kenneth N. Waltz, Theory of International Politics, Reading mass adism wesly 1979, pp. 97-99.

لقد تطورت مهام الحلف في المجال العسكري والاقتصادي إلى المجال السياسي، فعندما تكون حلف شمال الأطلسي تحددت له مهمة محددة مفادها تحييد وردع العدوان السوفيتي لدول غرب أوروبا التي عانت آنذاك من قصور عسكري جسيم هدد باختفائها فيما وراء الستار الحديدي، وبناء عليه استند الحلف آنذاك على مكونين رئيسيين هما:

#### الطابع العسكري:

وهو الطابع الغالب على عمل الحلف منذ إنشائه وهذا الطابع ينشأ في ظل ظروف تنافسية قطبية واستمر هذا الطابع واشتد مع الحرب الباردة وإن تصدعت مصداقيته لدى الحلفاء أثر انحسار النفوذ الأمريكي عالمياً كرد فعل للحرب الفيتنامية.

#### الطابع السياسي:

لم يكن من المتصور أن يكون للحلف بعد هدف سياسي بالرغم من الدور الأيديولوجي الظاهر للحلف لكن هذا طابع ظهر مع انتهاء الحرب الكورية وبداية سياسات التعايش السلمي. ومن المعروف لدى أي محلل في العلاقات الدولية أن الإطار العسكري لا يمكن أن يتم بدون الطابع السياسي وأن استمرارية العمل العسكري لا بد أن يصاحبه تطور في المجال السياسي بين أعضائه، وإلا أنقضى عمل الحلف كما أن انقضاء عمل الحلف لا يتم بانقضاء العمل العسكري ولكن ينقضي سياسياً أولاً هذا الأمر دفع الولايات المتحدة إلى ربط الدول الغربية بسياساتها الجيوبوليتيكية.

لقد خص الحلفاء الغربيون الوظائف الاستراتيجية للحلف الأهمية الأولى رافضين الاعتراف له بدور سياسي، كذلك فقد عكس قرار ديسمبر عام ١٩٧٩ الخاص بوزراء خارجية الحلف والمتعلق برفض الحلفاء نشر ٥٧ صاروخ أمريكي من طراز بيرشج وكروز التأكيد على الالتزام الأمني للولايات المتحدة فقط ومع استمرار استراتيجية الحلف ظهرت مجموعة من الحقائق أوجدت الدور السياسي للحلف منها:

١ - الأزمات التي واجهها الحلف والتي لا يمكن حلها إلا بدبلوماسية إدارة الأزمات حتى يمكنها احتوائها ومن هذه الأزمات العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ حرب أكتوبر ١٩٧٣، أزمة انسحاب فرنسا ١٩٦٦، الأزمة الناتجة من التدخل السوفيتي في أفغانستان، كل هذه الأزمات لم يكن من السهل وضع حل لها أو على الأقل التعامل معها أو إدارتها بدون تعاون سياسي بين الحلفاء.

٢ - إن ظهور الحلف كان ظهوراً سياسياً قبل أن يكون ظهوراً استراتيجياً لأن الحلف من الممكن أن يكون مشروعاً عظيماً طرح على عجل دون دراسة من الناحية الاستراتيجية ولكن البعد السياسي والايديولوجي له أوجد له مكانة كبيرة بين الحلفاء.

٣ - مجموعة الأزمات الأوروبية التي أوجدت تحديات سياسية واستراتيجية في القارة منها اصطدام حركة تضامن البولندية بالحزب الشيوعي الحاكم التي مت المصالح الأوروبية بطريقة مباشرة.

٤ - الحقائق المتعلقة بعدم التعارض بين الدول الأمريكية العالمي والدور الأوربي في المجالات المتعلقة بتصدير السلاح والتواجد الأوربي في بعض الأماكن السياسية الساخنة في العالم كوجود فرنسا في لبنان في الأزمة الأخيرة ووجود بريطانيا في فوكلاند.

٥ - نظراً للصفة الدفاعية للحلف كان يجب أن تسود كل أعضاؤه رؤية سياسية واستراتيجية واحدة تجاه العالم الغربي وجدير بالذكر أن حلف شمال الأطلسي قد واجه خلال الثمانينات تحديداً سياسياً على مستويين.

الخارجي : وقد أنصرف إلى الخطر الشيوعي.

الداخلي : وقد أنصرف إلى أعضاء الحلف.

أما التحدي الخارجي فقد خفت حدته بعد أن أستبعدت دول غرب أوروبا كل احتمال لعدوان سوفيتي عليها وتقبلها للأمر الواقع مجسداً إنضواء دول شرق أوروبا تحت اللواء السوفيتي.

أما التحدي الداخلي فقد تمثل في:

١ - رغبة الدول الأوروبية في الارتباط قومياً والاتجاه إلى أوروبا الموحدة وزيادة قدرتها التنافسية الاقتصادية.

٢ - اتخاذ سياسات لا تتوافق مع الاتجاهات الأمريكية خاصة تدعيم أوروبا لمسامحي الوفاق الدولي مع رفض أوروبا لسياسة العصا الفليضة التي مارستها الولايات المتحدة خاصة مع بداية دخول ريجان البيت الأبيض.

ومع وضوح الخلافات داخل الحلف في فترة الثمانينات فقد انحسرت هذه الخلافات مع بداية انهيار الاتحاد السوفيتي وبدأت النظريات الجيوبولتيكية الأمريكية تؤيد أهمية تواجد الحلف عالمياً وليس إقليمياً خاصة مع الرغبة الأمريكية في القيام بالدور الأول في العالم في ظل القطبين الأحادية.

ثانياً : الناحية التطبيقية للجيوبولتيكس في السياسة الخارجية الأمريكية بعد انحلال U.S.S.R

على الرغم من أن البعض لا يربطون بين النظريات الجيوبولتيكية ومجريات السياسة الدولية والتحالف العسكري، إلا أننا نعتقد بأن الدول العملاقة Super Power تأخذ بأسس هذه النظريات فيما يتعلق بسياستها الدولية في السيطرة العالمية<sup>(١)</sup> فالولايات المتحدة الأمريكية لم تتجاهل تلك النظريات خاصة في إطار علاقتها مع الاتحاد السوفيتي لتحد من إمكانية التوسع في منطقة القلب. لذلك فقد عمدت إلى الأخذ بمشروع مارشال لأنعاش أوروبا، كما أفما في الخمسينات وتحت قيادة (دالاس) وزير خارجيتها آنذاك أتجهت إلى ربط مناطق عديدة في العالم خاصة التي تقع ضمن اطار نظرية الأطراف لسبايكمان والتي تتماشى مع مناطق الهلال الخارجي لنظرية ماكيندر، فربطت بين دول تلك المناطق بأحلاف دفاعية كان أهمها حلف شمال الأطلسي.

ولا بد أن نشير في البداية أن هناك من يرى في الحلف من نشأته الطبيعة العدوانية ولا يعتبرون هذه الصفة قد زالت مع زوال الاتحاد السوفيتي السابق، ومن ثم انقضت مهام الحلف بما يتأتي معه الاتجاه إلى أشكال أخرى من التعاون إلا أن حقيقة الأمر ومن ثانيا دراسة الظروف التي رافقت إنتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية تثبت أن انقسام العالم إلى كتلتين كبيرتين كان أمراً محتموماً وبصرف النظر عن ولادة أحلاف عسكرية فيما بعد، وعماً إذا كانت الصفة الهجومية أو الدفاعية هي الغالبة على شكل التحالف ومضمونه، لقد اتجه العملاقان إلى تحقيق مصالحها على الصعيد الاستراتيجي والعقائدي، وقد أدت إجراءات هذا التقرير العقائدي والعسكري المزدوج ليس فقط إلى ضمان وجود قوى عسكرية رئيسية دائمة في مواجهة الخصم بل إلى الوصول إلى تحقيق مصلحة استراتيجية وسياسة هامة في أراضي الدول الأعضاء في الحلف<sup>(٢)</sup>.

ومع وجود قطبين متنافسين يحرصان كل الحرص على التوازن القائم داخل النسق الدولي كان للحلفاء دوراً رئيسياً في الحفاظ على صورة النسق القائم ولذلك ارتبط أمن الحلفاء بأمن الدول القطبية في العادة لذلك اتجه كل قطب إلى استراتيجية مكونة من عنصرين أساسيين هما (استراتيجية التسليح الذاتي، واستراتيجية تأمين الغطاء الأساسي للحلفاء).

لذلك فمن الضروري قبل أن نوضح الصورة المستقبلية لحلف شمال الأطلسي في ظل التطورات السياسية والاستراتيجية الجديدة أن نعرض لموقع الحلفاء الغربيين من الاستراتيجية الأمريكية.

(١) د. عبد المنعم عبد الرهاب، مرجع سابق، ص ١٦٠.

(٢) د. عادل الزعيم، الأسباب السياسية والاستراتيجية لتصدع التحالف الأوربي - الأمريكي (الجزء الثاني) العدد ٤١ - يوليو



أولاً : أهمية الحلفاء بالنسبة للجيوپوليتيكا الأمريكية:

إن هناك أسطورة تحاول الولايات المتحدة الأمريكية في ضوء سياستها الجيوستراتيجية العالية إثباتها من خلال اصطدامها بالحقائق الجديدة. وتتمثل هذه الأسطورة في قدرة الدولة العظمى خاصة المتفردة بتقرير صورة النسق العالمي على التدخل السريع العسكري والحاسم في أي بقعة من العالم، أي مقدرتها على لعب دور الشرطي العالمي.

لقد دامت هذه الأسطورة في العصور الحديثة أربعة قرون وكان الأسبان والبرتغاليون في البداية، والهولنديون والبريطانيون والفرنسيون واليابانيون في البداية، يدفعون قواقتهم المسلحة للتدخل بعيداً عن الوطن الأم، وسيطرون على أمم كاملة، بل وعلى قارات بأسرها وكان ذلك يتم بقوات استعمارية Troupes Coloniales مشكلة ومعدة بشكل يتناسب مع طبيعة مهامها ومسرحة عملياتها<sup>(١)</sup>.

ومن الملاحظ أن الدولة العظمى اعتمدت على نفس أسلوب إدارة الأزمات الدولية في سيطرتها على مناطق أخرى، وقد تأكدت هذه الفكرة بنفس الأسلوب في حالة القطب الأورحد الولايات المتحدة الأمريكية التي تفرد بقدراتها على التدخل السريع في أي منطقة في العالم وحلت قوة التدخل السريع (الانتشار السريع) محل القوات الاستعمارية السابق الإشارة إليها. وبنفس الطريقة تم تسليح هذه القوات بما يتناسب مع طبيعة مهامها ومسرحة عملياتها أيضاً والاختلاف في كلا الحالتين إنما ينصب أساساً في مدى قدرة العسكريين على التصرف شبه المطلق، فالحقيقة أن الحملات التي نفذتها البرتغال وأسبانيا وهولندا وبريطانيا وفرنسا في أفريقيا وآسيا والقارة الجديدة، وحملات الولايات المتحدة ضد كوبا والمكسيك وغيرها لم تتطلب جهداً عسكرياً كبيراً، ولم تعرض للإستنزاف الناتج عن طول مدة الصراع، ولم تكن حكومات الدول الغازية تستشير الرأي العام الداخلي أو تطلعه على مجريات الأحداث من خلال وسائل الاعلام بل كانت الحكومات تترك حرية التصرف شبه المطلق للعسكريين والحكام والمسحمرات، بالإضافة إلى ذلك، كان الرأي العام الداخلي في الدول الغازية فخوراً برؤية علم بلاده خفياً في نقاط متعددة وراء البحار وفي بلاد لا يعرف الكثير عنها. كما كان يعتبر العمليات الحربية في تلك البلاد مسألة عادية. ومنذ عشرين عاماً فقط شهدت المسألة بشقيها تبدلاً ملحوظاً وجزئياً. ففي الدول الكبرى أصبحت الحكومات معنية بالرأي العام الداخلي بل ومضطرة لاعلامه وأصبح هذا الرأي العام مسموع الكلمة ويشكل عنصر كبح امام المبادرات الحربية التي تنفذها الدولة<sup>(٢)</sup>.

(١) جورج بوبي، استراتيجيا، العدد ٣٧، ص ٥.

(٢) جورج بوبي، استراتيجيا - العدد ٣٧، ص ٥.

ومع زيادة أهمية الرأي العام الداخلي والعالمي في بعض الأحيان ظهرت اعتبارات أخرى متعلقة بتغير طبيعة النسق العالمي. ففي الحملات الاستعمارية الأولى كان التنافس يتم إما من ثبات فرض إرادة القوى أو بالاتفاق أو بسياسة التويضات الإقليمية أحياناً بالإضافة إلى سياسات ميزان القوى المتعارف عليها، أما في ظل العمليات الحالية فقد ظلت سياسات ميزان القوى قائمة إلا أن طبيعة التعامل الدولي (International Relations Management) اختلفت إلى حد كبير في أسور عديدة من أهمها:

١ - طبيعة التعامل بين الدول الكبرى.

٢ - طبيعة التعامل بين الدول الكبرى والدول من الدرجة الثانية.

٣ - طبيعة دول العالم الثالث.

"وأمام هذه الحقائق الجديدة، وعت الدولتان العظيمتان ضرورة التلازم سياسياً وعسكرياً مع متطلبات إدارة الحرب المحدودة أو الصغيرة، والتميز بين هذين النوعين من الحرب والعمل على تفهم مدخلات الحرب الصغيرة والإستعداد لمواجهةها، وتأتي أهمية التميز بين الحروب المحدودة والحروب الصغيرة من أن مفهوم الحرب المحدودة قابل للامتداد على مستوى الحرب النووية"<sup>(١)</sup>.

"وتتضمن الحرب المحدودة أيضاً احتمال وقوع الصدام التقليدي مع الدول العظمى الأخرى وتمحور المسألة بالنسبة إلى الأمريكيين حول مواجهة التوسع الروسي في العالم، ونظراً لتعدد جوانب هذه المسألة وتباينها، فقد كان من الضروري التميز بين الحرب المحدودة والحرب الصغيرة وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن استخدام الأمريكيين للقوات التقليدية المتمثلة في قوة الانتشار السريع، بغية منع السوفيت من تمديد وجودهم العسكري إلى منطقة الخليج يمكن أن يؤدي إلى اندلاع حرب محدودة في حين يشكل الغزو الأمريكي لجزيرة جرينادا أصغر نماذج الحرب الصغيرة"<sup>(٢)</sup>.

ووفقاً لتقدير الإدارة الأمريكية للحرب المحدودة<sup>(٣)</sup> وخطورتها تبنت الولايات المتحدة استراتيجية تأخذ في الاعتبار متطلبات العمل العسكري الذي يتفادى خطر التصعيد والذي يأخذ غالباً شكل إدارة الأزمة أو المظاهرة العسكرية وعرض العضلات، وهذا ما حصل في برلين وكوبا وكوريا والشرق الأوسط، حيث تلعب الرغبة في تحاشي الصدام مع الدول العظمى الأخرى دوراً

(١) مرجع سابق، ص ٥.

(٢) مرجع سابق، ص ٥.

(٣) تعريف الحرب المحدودة تعريف أفرزته الاستراتيجية الأمريكية وهو يعبر عن وجهة نظر رئيس الأركان الأمريكي الأسبق

حاسماً، ومن هنا يمكن فهم الأسباب التي جعلت الولايات المتحدة لا ترح بقواتها في الصراع في هذه الدول الصديقة للاتحاد السوفيتي السابق، إلا بعد التحقق من أن عملها لن يؤدي إلى صدام مباشر مع السوفيت، بل أن الأمريكيين يفضلون استخدام قواهم وفق أسلوب إدارة الأزمة Crisis Management والخروج بدلاً من دفعهم إلى الأعمال القتالية المباشرة حتى لو كان نجاح تلك الأعمال مضموناً.

وبالرغم من القدرة العسكرية الأمريكية الهائلة فهي لم تدخل في حرب محدودة لاعتبارات متعلقة بالخوف النووي والردع النووي المتبادل، ومهما كانت المسئولية العسكرية التي تحملتها الولايات المتحدة الآن بصفتها جزء من العالم وباعتبارها تلعب دور الشرطي العالمي فإن المؤسسات الأمريكية العسكرية والمدنية تفضل عدم خوض الحروب الصغيرة أيضاً بسبب مجموعة من كوابح السياسة الخارجية الأمريكية التي تتمثل في:

١ - المعارضة التي يحتمل أن يبيدها الرأي العام الأمريكي القوى ومن المعروف أن هذه المعارضة قد تخف أحياناً إذا ما قامت الولايات المتحدة بهذه الحروب مع حلفاء آخرين.

وفي الواقع فإن المضعف في اتجاهات الرأي العام الأمريكي على أنه أحد كوابح الاتجاهات الأمريكية للتدخل العسكري فيما وراء البحار يدرك أن عقدة فيتنام وإن تركت آثاراً عميقة في نفوس الأمريكيين إلا أن الرأي العام الأمريكي قد تجاوز هذه المرحلة فقد أبدى الرأي العام الأمريكي استعداداً لقبول غزو جرينادا في أكتوبر ١٩٨٣، كما وافق الرأي العام الأمريكي على إرسال مشاة البحرية إلى لبنان للمشاركة في عملية إنقاذ الرهائن.

"ويبدو أن موقف الرأي العام الأمريكي إزاء التدخل فيما وراء البحار يتطور بشكل مستمر، ففي الاستقصاء الذي أجري في عام ١٩٧٥، كان الرأي العام الأمريكي معارضاً لخوض الحرب إلا من أجل الدفاع عن كندا، وكان ٤١% من الذين شملهم الاستقصاء يعارضون التدخل للدفاع عن أوروبا الغربية، في حين كان مؤيدوا التدخل لهذا الغرض يمثلون ٣٩%، وفي عام ١٩٨٠ أجري استقصاء جديد في ظروف مماثلة للاستقصاء السابق فتبين أن الأمريكيين يؤيدون خوض الحرب في أوروبا الغربية والخليج واليابان وباكستان، ويشبه هذا المناخ الأمريكي المناخ الذي ساد بريطانيا أثناء حرب فوكلاند"<sup>(١)</sup>.

٢ - هناك كايح آخر أقوى من الرأي العام وهو الكونجرس الذي يعيق الإدارة الأمريكية في كل ماله علاقة بالأعمال القتالية وراء البحار، ففي عام ١٩٧٣، وعندما تأكد الأمريكيون أن حرب فيتنام مغامرة محيية للأمال أقر الكونجرس قانون The ware powers Actor الذي ينص في

(١) مرجع سابق - ص ٥.

الفقرة (٥-ب) على ضرورة سحب كافة القوات الأمريكية المشتركة في القتال خلال ٦٠-٩٠ يوماً، من ناحية أخرى وبالرغم من موافقة الكونغرس على إرسال مشاة البحرية الأمريكية إلى لبنان وبقائها ١٨ شهراً إلا أنه قرر سحبها قبل مضي ١٢ شهراً، إن قدرة الكونغرس هائلة فهو قادر على الصمود أمام الهيئة العسكرية بعدم موافقته على الميزانية أو تمويل المغامرات العسكرية. وهو ما حدث أيضاً في عام ١٩٨٥ عندما أحتلت الأحداث في نيكاراغوا وعلاقة الساندينين بالاتحاد السوفيتي وكوبا قمة أهداف ريجان (ظهر ذلك واضحاً في خطابه الذي ألقاه رونالد ريجان في ١٢/٢٤/١٩٨٥ لاسقاط نظام الحكم هناك إلا أن الكونغرس اعترض خاصة بعد أن أعلن السيناتور الجمهوري ريتشارد لوجار رئيس لجنة العلاقات الدولية في مجلس الشيوخ الأمريكي بأن برنامج مساعدة تلك المنظمات غير قابل للحياة.

٣ - من أهم القيود على العسكرية الأمريكية هي حالة فقدان الثقة بين المدنيين والعسكريين، إذ لا يثق المدنيون برؤية العسكريين الاستراتيجية، في حين لا يثق العسكريون بالحس السياسي المدني، ولذلك فإن الخيارات المدنية للاستراتيجية الأمريكية عادة ما تكون محطمة للعسكريين، وهو ما يجعل العسكريون يلقون بعجزهم على الإدارة المدنية كما حدث في فيتنام ولبنان.

ومن المتعارف عليه أنه من المستحيل قيام الحرب الشاملة بين الدول العظمى بسبب القدرة التدميرية الهائلة التي أوجدت حالة الردع النووي وذلك طبقاً لنظرية كلاوزفيتز في أن الحروب هي أداة سياسية لحماية مصالح الدول وتوسيع دائرة نفوذها، إلا أن عدم رغبة الدول العظمى في الدخول في صراع نووي، دفع بها إلى شن حروب محدودة خارج حدودها، وبالتحديد في مناطق النفوذ المتنازع عليها، وتقوم بهذه الحروب في أغلب الأحيان الدول الحليفة أو المساعدين للدول الحليفة.

من ناحية أخرى هناك رغبة أمريكية في الائتلاف حول هذه القيود والخروج منها لممارسة دور عالمي، ويرجع ذلك إلى رغبة الولايات المتحدة في حماية مصالحها في جميع أرجاء العالم وبخاصة في المناطق البحرية الكثيرة لها ولخلفاؤها الأوربيين.

ومن أهم الطرق المؤدية إلى تحقيق الحلم الجيوستراتيجي الأمريكي هو التعاون واستمرارية التعاون مع الحلفاء الأوربيين القدامى، وبغض النظر عن التطورات العالمية التي أتمت مع انهيار الاتحاد السوفيتي - إلا أن رغبة الولايات المتحدة في استعادة الزعامة العالمية ورغبة منها في تخطي القيود السابق الإشارة إليها تمادت الولايات المتحدة في التعاون مع حلفائها الغربيون بل أبقت على حلف شمال الأطلسي والذي سوف يمكنها بالتعاون مع حلفائها الأوربيين في القيام بحروب

صغيرة وبغض النظر عن نواقص قوة الانتشار السريع الأمريكية التي أثبتت فشلها في منطقة الخليج الساخنة.

إن الولايات المتحدة قد تكون قادرة على العمل في أي منطقة بالعالم إلا أن القيود الواردة على تلك السياسة تجعلها توجه إلى حلفائها للسيطرة على الرأي العام الداخلي والكونجرس، ومن ناحية أخرى، فإن حلفاء الولايات المتحدة الغربيون عاجزون بدون دعم أمريكي عن القيام بعمليات كبيرة ناجحة وراء البحار وقد ثبت ذلك في حرب فوكلاند ١٩٨٣ فقد حصلت بريطانيا على دعم أمريكي وفرنسي وحصلت فرنسا على دعم أمريكي أيضاً أثناء تدخلها في زائير في عام ١٩٧٨، في المقابل نجد أن فرنسا وبريطانيا قادرتان على تقديم مساعدات لا يستهان بها إلى قوة الانتشار السريع الأمريكية وهو ما ظهر جلياً في حرب الخليج الثانية وتطوراتها المستمرة حتى اليوم.

لقد تبنت الولايات المتحدة منذ عهد الرئيس كارتر استراتيجية تأخذ في الاعتبار متطلبات العمل العسكري في منطقة الخليج وأمريكا الوسطى بالإضافة إلى كوبا التي زادت أهميتها كما أهتمت تلك الاستراتيجية بكل من ليبيا وتشاد والسودان بالإضافة إلى العراق وفي هذه المناطق تتوقع كما حدث مع العراق وقوع حروب صغيرة لا تتم بقوة الولايات المتحدة وحدها ولكن مع الحلفاء كما سبق أن أوضحنا.

أن الولايات المتحدة بحكم موقعها من النسق العالمي إذا تفضل عدم الخوض في الحروب الصغيرة البعيدة تعتمد على حلفائها لعدة أسباب.

١ - أن الولايات المتحدة كدولة عظمى إذ تلعب دور الشرطي العالمي لا تحافظ على مصالحها فقط إنما تحافظ أيضاً على مصالح حلفائها.

٢ - أن الولايات المتحدة نظمت أداؤها العسكرية بشكل يسمح لها بإدارة الحرب مع الحلفاء على أعلى مستوى.

٣ - أن الحروب الصغيرة تبدو للولايات المتحدة وكأنها مغامرات في منطقة نائية من العالم من دون حلفاء يمتلكون فاعلية كدول أوروبا الغربية ومن دون قواعد لوجستية محلية وفي ظروف مناخية وجغرافية (صحاري، أدغال، مناطق قطبية).

٤ - هناك إمكانية اندلاع حروب صغيرة بشكل غير متوقع ومباغت للإدارة العسكرية الأمريكية الثقيلة، وفي حالة وجود الحليف المحلي في الحرب الصغيرة يخفف كثيراً من العبء الأمريكي.

٥ - من ناحية أخرى فإن الولايات المتحدة الأمريكية بآلاتها الحربية الضخمة لا تعلق أهمية بالغة على الانتصار الحاسم على الخصم في وقت صغير، بالرغم من أن الانتصار أو عدم الهزيمة للعدو الصغير أمام الآلة العسكرية الأمريكية قد يعني مسألة حياة أو موت لذلك تحشد طاقاته ويطول أمد الحرب وهو ما حدث في فيتنام وأفغانستان.

لكل هذه الأسباب صممت الولايات المتحدة على الاحتفاظ بحليفها القوي المتمثل في أوروبا الغربية بل ونظمت آلاتها العسكرية الحربية بالتنسيق معهم بشكل يسمح لها بإدارة الحرب على أعلى مستوى.

هناك أيضاً رؤية أخرى ترى أن دول أوروبا الغربية مع الولايات المتحدة إنما يشكلون أكبر سوق تجاري للسلاح كما يمثل أيضاً أكبر مجمع اقتصادي وبالتعاون تستطيع الولايات المتحدة أن تنسق أمورها التجارية وعمليات التسويق التسليحي الدولي، والولايات المتحدة ترغب في أن يرتبط حلفائها بسياسة إنتاج حربية متوافقة مع الاتجاهات الأمريكية بالرغم من تأكيد الاتجاهات الانعزالية الفرنسية والتي أكدها الجنرال الفرنسي وزير الدفاع شارل أرنو عند بداية الاقتراح الأوربي بانتاج الطائرة (AVE) الأوربية فقد ذكر أن الهدف الذي نبحت عنه من خلال التعاون الأوربي هو السيطرة على سياستنا في التسليح وبالتالي استقلالنا في سياسة الدفاع وهذا التعاون بالشكل الذي نريده للطائرة القتالية هو الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ في أوروبا بقدرة عملية وتقنية وصناعية على مستوى قدرات الدول العظمى<sup>(١)</sup>.

أن دول أوروبا الغربية ودول حلف شمال الأطلسي هي بمثابة حلفاء محليين لهم مصالحهم وللولايات المتحدة مصالحها أيضاً ونفس القول ينطبق على الحلفاء الآخرين المحليين في أماكن أخرى في العالم ولنا في إسرائيل كحليف محلي في منطقة الشرق الأوسط ما يؤكد إلى أن ظاهرة التحالفات أو الحلفاء المحليين من الأمور الاستراتيجية في السياسة الخارجية الأمريكية وأرتباطاً بهذه الظاهرة تبرز مجموعة من الحقائق هي:

١ - أن الولايات المتحدة لديها رغبة قوية في تعزيز أمن حلفائها إزاء الأخطار المحلية والدولية ودعم مواقعهم في مواجهة التغيرات الاقتصادية وتأمين مجموعة المكاسب الاقتصادية بدءاً من الأرباح الكبيرة والتي تحققها من شركات الصناعات الحربية وانتهاجها إلى المساعدات الاقتصادية والعسكرية.

٢ - أن الولايات المتحدة تعتمد على حلفائها في المناطق الإقليمية فهؤلاء الحلفاء إنما يقومون بدور حارس المصالح الاستراتيجية الأمريكية في مناطقهم الإقليمية.

(١) حديث صحفي نشرته جريدة الفيجارو الفرنسية في ٢٨/٨/١٩٨٤.

ونتيجة لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تتدخل لمساعدة حلفائها المحليين بطرق

مختلفة منها:

- ١ - سرعة اقرار صفقات الأسلحة المباعة إلى هذه الدول.
- ٢ - البدء بتكثيف تصدير الأسلحة إليها.
- ٣ - المشاركة في تطوير وإنتاج الأسلحة.
- ٤ - التشدد في دراسة طلبات الأسلحة التي تقدمها الدول غير الحليفة الغربية من مسرح الصدام.

إن الولايات المتحدة إذ تسمى إلى تطبيق سياستها الجيوبوليتيكية لا بد لها من حلفاء في مناطق جغرافية متعددة، لذلك فهي تحيط حلفائها في كل مكان بسياج من العطاء الاقتصادي والعسكري، وتعتبر دول أوروبا الغربية أهم الحلفاء المحليين في منطقة أوروبا من أجل تطبيق منطقة قلب الأرض والوقوف ضد السوفيت وإغلاق طريق الامتداد إلى خارج منطقة قلب الأرض، وهي لذلك أيضاً تقيم بباكستان ودول الخليج وغيرهم.

ثانياً : العلاقة الارتباطية بين الأمن الأوربي والأمن الأمريكي:

من المعروف أنه بالرغم من التغيرات الجوهرية التي شهدها الحلف، إلا أن المبادئ الجوهرية تظل ثابتة، فالحلف قد ظهر في ظل التنافس القطبي ومتغيرات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي إطار هذا التنافس ظهر مبدأ الدفاع المشروع، وقد أدى ذلك ليس فقط إلى ضمان مواجهة الخصم بل إلى الوصول إلى تحقيق مصلحة استراتيجية وسياسة هامة في أراضي الدول الأعضاء في الحلف وهي إمكانية إحباط أية محاولات داخلية للإنقلابات أو الانزلاق إلى الجبهة المتنافسة ولذلك كان الاتجاه إلى تطوير العقيدة الأمنية للحلف تمشياً مع التغيرات العالمية الجديدة.

إن الولايات المتحدة إذ تعلم من الناحية الاستراتيجية معنى الخوف الأوربي من القوة النووية والتقليدية للسوفيت، تعلم جيداً نتائج ذلك على مصالحها في القارة القديمة وفي مناطق أخرى من العالم، لذلك فهي تفضل أن تظل القارة الأوربية بمظلة استراتيجية لحلف الأطلسي.

ومن ناحية أخرى فهناك رغبة من الجانب الأوربي في الحماية الأمريكية فقد رأى الأوربيون أن نجاح الولايات المتحدة في امتلاك درع مضاد للصواريخ السوفيتية سيدعم من ثقة الدول الأوربية بمجدية مظلة الردع الأمريكية المنشورة في أوروبا، إن القوتين النوويتين الفرنسية والبريطانية سوف تصبح بلا معنى في مواجهة الردع النووي السوفيتي المضاد للصواريخ ولا

يستبعد أن يؤدي هذا الوضع إلى تطورات سياسية غير متوقعة في أوروبا ومنطقة الشرق الأوسط وبخاصة منطقة الخليج وهو ما لا ترغبه الولايات المتحدة.

وبالرغم من الارتباط بين الرؤيا الأمريكية الأمنية والأوربية إلا أن الأوروبيون يتخوفون من التنافس الروسي / الأمريكي خاصة في المجال النووي، فالأوروبيون يستبعدون الحرب النووية الشاملة طالما أن هناك تعادل في موازين القوى، ويرون أنه في حالة وقوعها ستتحصر في أوروبا فقط وذلك لاعتبارات عديدة أهمها:

١ - أن الأراضي الأوربية عبارة عن ترسانة نووية أمريكية.

٢ - أن الأراضي الأوربية هي المناطق الفاصلة بين العملاقين وهي تدين بأمنها إلى طبيعة العلاقة بينهما (أراضي حاجزة).

٣ - أن الدول الأوربية هي دول حليفة للولايات المتحدة.

ولا بد أن نوضح هنا أن الخوف الأوربي ليس من فكرة التدمير النووي ولكن أيضاً من الاجتياح السوفيتي بالأسلحة التقليدية فمزال السوفيت يمثلون منطقة قلب الأرض الاستراتيجية، ويفوقون في الأسلحة التقليدية.

ويتضح من تقارير وكالة المخابرات الأمريكية مدى الخوف الأوربي خاصة بعد الإعلان أن هناك ما يزيد عن ٣٠٠ رأس نووي روسي على استعداد لتدمير عدد كبير من القواعد العسكرية التابعة لحلف شمال الأطلسي في فرنسا وبريطانيا وألمانيا الغربية في آن واحد، ولا شك أن هذه الضربة الأولى ستقضى على كل أمل أوربي في الردع في الوقت الذي لا تستطيع فيه الدول الأوربية استخدام الصواريخ المضادة للصواريخ الروسية خاصة من طراز (برشينج) لأن مفاتيحها في خزنة الولايات المتحدة وهذا الأمر سرغم أوروبا على الاستسلام.

ومن أسباب الخوف الأوربي "أنه إذا كان صحيحاً أن الروس يفكرون في ضرب أوروبا فهل سيدخل البيت الأبيض، وهنا تجدر الإشارة إلى مسألة غاية في الأهمية يضعها الأوروبيون نصب أعينهم، وهي اقتناعهم بأن الولايات المتحدة لن تتدخل لحمايتهم، وقد ذكر أكثر من مسؤول أمريكي "أنه على أوروبا إذا كانت تستشعر بالخطر أن تبادر إلى حماية نفسها، ولم تنسى الحكومات الأوربية بعدما حدث في الستينات حينما رفضت الولايات المتحدة أن تدافع عن أوربد ولذلك يعتقد الأوروبيون أن أوروبا ستكون الضحية وأن موسكو وواشنطن يبذلون كافة الجهود للسيطرة عليهم"<sup>(١)</sup>.



من ناحية أخرى يرى الأوروبيون أن الولايات المتحدة ترى الخطر بعيداً عنها لأنها أولاً وأخيراً قادرة على حماية نفسها، كما أنها باعتبارها دولة بحرية قادرة على حماية نفسها كما أنها قادرة على منافسة الروس في اغيظ بكفاءة قتالية عالية<sup>(١)</sup>.

ويرى بعض المحللين أن الأمر في حقيقته لا يتعدى رغبة الولايات المتحدة في أن يقوم الروس بضرب أوروبا، لأن هذه الضربة ستجرد الروس من أسلحتهم مما يمكن الولايات المتحدة في هذه الحالة من استلام زمام المبادرة<sup>(٢)</sup> كما أن الولايات المتحدة ليست على استعداد لخوض حرب إلا إذا كانت مضمونة النتائج ولا تؤثر على قدراتهم العسكرية.

"إن الاعتراف بالمأزق الأوربي دفع برينجيف إلى القول "نحن على استعداد لتحديد أوروبا الشمالية من مساحة الصراع النووي كمقدمة لمشروع يهدف إلى تحييد أوروبا بكاملها"<sup>(٣)</sup>.

ومن المعروف أن الولايات المتحدة وأوروبا قد رفضتا هذا الاقتراح وأعتبروا أن إقراره يشكل كسباً للسوفيت الذين يكونوا قد نجحوا في تحويل أوروبا الشمالية إلى فنلندا ثانية، إضافة إلى اضعاف حلف شمال الأطلسي، بل وإيجاد شرخ عميق في التحالف الغربي.

إن الخوف الأوربي إنما يرتد إلى مقدمة مؤداها أن أوروبا تعد بمثابة المنطقة الجغرافية الحاضرة بين السوفيت والأمريكان ولذلك فهناك نتائج مترتبة على ذلك أهمها:

١ - أن أوروبا تدين باستقلالها إلى الوفاق بين القوتين.

٢ - أن أوروبا تعد بمثابة بوتقة للتفاعل الروسي الأمريكي فالاتحاد السوفيتي سوف يعمل على إدارة الصراع الاستراتيجي مع الأمريكان في أوروبا، الأمر الذي سيضمن لهما في النهاية اقتطاع مساحات من أوروبا مرة ثانية وإخضاعها لسيطرته.

٣ - أن أوروبا هي مسرح التنافس السياسي والاستراتيجي بين الدولتين العظميين.

وارتباطاً بذلك ظهر المأزق الأوربي واضحاً فمن ناحية فإن المسؤولين الأوروبيون يعتبرون مصالحهم ترتبط بمصالح الولايات المتحدة ولا زالوا يراهنون على القدرة العسكرية الأمريكية القادرة على حمايتهم، من ناحية أخرى فإن الولايات المتحدة تتبع سياسات مع الدول الأوربية يفهم منها أن الولايات المتحدة ترغب في خضوع أوروبا المطلق لها.

(١) مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) مرجع سابق، ص ٨٢.

ومن الناحية السوفيتية فإن الولايات المتحدة تعترف بفشلها في حماية أوروبا دون تعريضها لكارثة مروعة، وإذا كانت هي نفسها لن تستطيع حماية مصالحها بصورة كاملة، لذلك فإن أوروبا في هذه الحالة أمام أمرين لا مفر منهما:

الأول : خضوعها للسوفيت فهي غير قادرة على حماية نفسها في مواجهة السوفيت.  
الثاني: خضوعها المطلق للولايات المتحدة.

لذلك فمن المتصور أن أمام قادة أوروبا حلين رئيسيين هما:

١ - زيادة القدرات الدفاعية الأوروبية وتنظيم أوروبا سياسياً لتشكل في النهاية كتلة يستطيع أن يقف في مواجهة السوفيت ويتعد عن الهيمنة الأمريكية.

٢ - التعاون مع الولايات المتحدة بدون الخضوع لها عن طريق التعامل الدولي من ثانياً حلف شمال الأطلسي. فعلى الأقل فإن الحلف يدار بطريقة ديمقراطية.

ومن الواضح أن أوروبا تتجه إلى الحل الأول لتصل إلى الحل الثاني لذلك تتجه إلى سياسات المتحدة إلى اتخاذ سياسات من شأنها:

١ - تحديث القدرة النووية الأوروبية لزيادة القدرة الدفاعية ضد السوفيت وتخفيف العبء الاستراتيجي لحماية أوروبا على الولايات المتحدة.

٢ - اتخاذ سياسات من شأنها أن يكون هذا التطوير على درجات تتفق مع مصلحة الأمريكان في الإبقاء على أوروبا خاضعة للهيمنة الأمريكية.

لذلك فالولايات المتحدة تعارض مبدأ استقلالية الحلفاء الغربيون في المجال النووي لدواعي أهمها<sup>(١)</sup>:

١ - أن إنتشار السلاح النووي بين دول الناتو يعني احتمالات المواجهة مع السوفيت والسذي سوف تضطر معه الولايات المتحدة إلى الدخول فيها تطبيقاً لنظام الدفاع الجماعي رغم خطورة عواقبها على السلم والأمن الدوليين.

٢ - تعدد الدول المالكة للسلاح النووي من شأنه النيل من تماسك وصلابة كتلة الحلفاء، كما يؤدي إلى تعدد مراكز اتخاذ القرار إلى السلام النووي بعد أن كان بقبضة الرئاسة الأمريكية وحدها.

(١) د. دريه شفيق بسيوني - الاستراتيجية النووية الأمريكية بين التوازن النووي وحرب الكواكب - مجلة العلمية لكلية التجارة

٣ - عدم جدوى برامج تنمية القوى النووية القومية المرهقة مادياً بالنظر إلى الأخطار التي تتعرض لها أوروبا وأبرزها خطر القضاء النووي التام وعدم مقدرة أوروبا على ردع التهديدات النووية السوفيتية بمثل هذه القوة المحدودة، إذ أن هذا الردع لا يتحقق بالقوة النووية الأمريكية وحدها.

٤ - ضرورة وجود استراتيجية نووية موحدة تحت الزعامة الأمريكية تجعل لها القدرة على إدارة ازماقها مع السوفيت.

٥ - اهتمام الحلفاء الغربيين بمجازة السلاح النووي تصرفهم عن تطوير قدرتهم العسكرية التقليدية وهي من أهم المرتكزات التي تنهض عليها الاستراتيجية الأمريكية في أوروبا.

إن الولايات المتحدة طالما اعتبرت أن المعسكر الغربي يجب أن يكون وحدة استراتيجية واحدة، وأنه يعود إليها هي أن تنظم مجمل نظم الدفاع الغربي وأن تحدد هي وسائل هذا الدفاع وتقرر استخدامها<sup>(١)</sup>.

إن الولايات المتحدة بصياغتها الاستراتيجية الردع النووي فرضت على الدول الأوروبية أساليب وسياسات مختلفة، فمن ناحية لم تؤيد الولايات المتحدة امتلاك الدول الأوروبية للسلاح النووي لأن من شأن ذلك أن يؤثر في تماسك الكتلة الغربية، لذلك فامتلاك أي دولة أوروبية للسلاح النووي يعني استقلالاً ذاتياً الأمر الذي يدخل إلى الأوضاع الأوروبية فرعاً من عدم الاستقرار ولهذا عارضت الولايات المتحدة طويلاً فكرة الردع الفرنسي.

ومن ناحية أخرى فهي تفرض على الدول الأوروبية الخضوع لاستراتيجية الردع الأمريكية بالرغم من رفض الرأي العام الأوربي لذلك وهو ما وضح كلياً في أكتوبر ١٩٧٩ عندما رضخت بريطانيا وقررت قبول إنتشار الصواريخ المجنحة في أراضيها.

وقد تطلعت الدول الأوروبية منذ عام ١٩٧١ إلى الاتجاه اتجهاً ذاتياً يعطي للتعاون الأوربي المستقل مكاناً بارزاً في إطار الانجازات الفضائية، فشكلت لجنة الفضاء الأوروبية (E.S.A) European Space Agency. في عام ١٩٧٣، ويمكن اعتبار هذا التعاون الأوربي عملاً عسكرياً قبل كل شيء إذ يرى البعض فيه الكثير من التحدي الأوربي لمركز الولايات المتحدة الأمريكية، والإصرار على إبراز أوروبا المستقلة.

إلا أنه من الواضح عدم رغبة الحلفاء الغربيين في الابتعاد عن الخطيرة الأمريكية - فقد عملت بعض الدول الأوروبية على رأسها ألمانيا عملت على وضع مجموعة الصناعات الألمانية للطيران والفضاء (BDLI) لأسباب اقتصادية وتكنولوجية وعسكرية في ظل حلف شمال الأطلسي

(١) بول ديلاورنس، استاذ الإستراتيجية القوى العظمى في السوربون - استراتيجيا - العدد ٢٨ ابريل ١٩٨٥، ص ٨.

وتعاونت مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى مستوى القارة فقد عقد مجلس وكالة الفضاء الأوروبية في مدينة روما في يومي ٣٠، ٢١ يناير ١٩٨٥، واتخذ قرارات كان أهمها: اشتراك الدول الأوروبية في برنامج محطة الفضاء الأمريكية Space station شريطة الوصول إلى اتفاق مرضي مع الولايات المتحدة حول هذا الموضوع.

لقد وضح من ثانياً تحديد أهداف البرنامج الأوربي الفضائي رغبة أوروبا الاستقلال إلا أنه عززت من شكل التعاون مع الحليف الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية فقد ظهر أنه من أهم أهداف البرنامج الأوربي هو تعزيز التعاون الدولي بصورة خاصة عن شكل من أشكال التعاون مع الولايات المتحدة في برنامج إنشاء محطة فضائية دولية<sup>(١)</sup>.

ولا نفضل أن يفهم من تحليلنا السابق سلبية الدول الأوروبية ورغبتها في الانصياع إلى الجانب الأمريكي. فمن الواضح أن الدول الأوروبية كانت بين أختياريين:

الاختيار الأول: هو الاعتماد على النفس في الدفاع عن الأراضي الأوروبية بالرغم من تخلفهم في مجال التسلح النووي بأكثر من ١٥ عاماً.

الاختيار الثاني: هو التعاون مع الولايات المتحدة والذي تضمن عنصرين رئيسيين هما:

العنصر الأول: التكنولوجيا.

العنصر الثاني: الحماية النووية للقارة الأوروبية بالإضافة إلى إقامة ميزان للقوة يتيح للدول الأوروبية أن تقوم وتسلح في ظل تلك الحماية.

ومن المعروف أن أوروبا قد دخلت عصر الفضاء متأخرة خمسة عشر عاماً عن الدولتين العظميين ولذلك بدأت محاولات منفردة في قمة جماعية في إطار التقدم التكنولوجي في مجال الصواريخ والطيران، ومن أهم المحاولات المنفردة المحاولات الفرنسية والتي استحدثت مؤسسة وطنية تقوم باستكشاف الفضاء واستغلاله وظهرت ألمانيا الغربية حيث أنشأت مجموعة الصناعات الألمانية للطيران والفضاء وفي إنجلترا بدأت في إنشاء شركات وطنية.

يمكن القول أن هذه الدول الأوروبية قد حققت إنجازات ملموسة في هذا المجال بصورة مستقرة بالتعاون مع غيرها خاصة اليابان وكندا أو منفردة بالإضافة إلى المشاركة في المشاريع القهنتية الأمريكية أو الروسية.

ومن ناحية الولايات المتحدة فقد اعتبرت هذا البرنامج الأوربي بمثابة برامج ثانوية اختيارية تابعة لاتفاق الأعضاء الأوربيين فيما بينهم خاصة (وكالة الفضاء الأمريكية) على التنفيذ بالإضافة إلى أن هذه البرامج تواجه صعوبات من أهمها:

١ - الأزمة الاقتصادية التي تعانيها الدول الأوربية منذ عدة سنوات.

٢ - اظهار الولايات المتحدة حرصاً متزايداً على تحديد نقل التكنولوجيا إلى أوروبا بهدف البقاء على مركز مضوق وهو ما دفع الأوربيين إلى الالتجاء إلى اليابان وكندا.

إن الخيارات السابقة لم تنح للقادة الأوربيين أي فرصة للتراجع بالرغم من أخذ رأي الرأي العام الأوربي والذي ظهرت فيه اضطرابات أشبه بالثورات وظهرت الحركات السلمية المعادية لحلف شمال الأطلسي في أوروبا الغربية ومنها الحركة الأوربية المعروفة باسم لجنة نزع السلاح النووي في أوروبا، وتطورات بعض هذه الحركات تدريجياً إلى منظمات سرية تعمل على تخريب المؤسسات العسكرية للحلف، وظهرت أحزاب تنادي بالسلام الأوربي ومنها حزب الخضر في ألمانيا.

إن التعاون الأوربي مع الولايات المتحدة على الأقل في الفترة القادمة هو تعاون لا مفر منه وإن كان هناك نوع من النفور الأوربي إلا أن هذا النفور يواجه برغبة أمريكية في زيادة الارتباط بل وتدعيم الاستراتيجية الأوربية إلى الحد أن الولايات المتحدة تطالب الدول الأوربية بتحمل نصيبها من الدفاع عن أوروبا وفي إطار ذلك تطالب دول الحلف دائماً بزيادة ميزانية الدفاع بنسب محددة وينسب يحددها الحلف. فقد أرتفعت ميزانية الدفاع البريطانية بنسبة ثابتة على سبيل المثال منذ ١٩٨٦ بناء على طلب الحلف (بنسبة ٣% تقريباً<sup>(١)</sup>).

وما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن هناك رغبة أمريكية قوية في السيطرة الكاملة على برنامج التسليح النووي في الدول الأوربية إلا أنها إن لم تتمكن من ذلك سوف يظهر البرنامج النووي الأوربي وهذا ما تراه الولايات المتحدة في غير صالح أوروبا وفي غير صالحها من جهة أخرى، وبالرغم من أن بعض الدول الأوربية خاصة فرنسا لها اتجاهات استقلالية في هذا الشأن ولها برنامجها النووي الخاص بما وهو ما تعرفه واشنطن لذلك فهي تحرص من وقت لآخر للضغط على فرنسا، مثلما حدث عندما عمقت واشنطن وبون علاقتها الاستراتيجية حول حرب النجوم، الأمر الذي خشي معه المراقبون في أن يؤدي تقارب بون وواشنطن إلى حدوث شرخ في العلاقات الفرنسية الألمانية وأنتهاء حقبة التفاهم التي وصلت ذروتها إزاء مسألة نشر الصواريخ الأمريكية في أوروبا.

وهذا الأمر دفع الرئيس ريجان في عام ١٩٨٣ إلى الاعلان عن مبادرة استراتيجية تحت عنوان (مبادرة الدفاع الاستراتيجي) كخطوة نحو الأمن الأوربي والتي هدف منها:

١ - تحقيق تفوق عسكري على السوفيت.

٢ - المزيد من الابتزاز السياسي لدول حلف شمال الأطلسي<sup>(١)</sup>

ثالثاً : أثر انحلال الاتحاد السوفيتي على العقيدة الجيوستراتيجية للحلف:

نشأت الاستراتيجية العسكرية الشرقية مع ثورة أكتوبر ١٩١٧ ولكن الجذور التاريخية لها أنها تعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد علل منظرو الاشتراكية العالية بعهد اكتشافهم لقوانين تطور المجتمع الإنساني شكل علمي أسباب نشوب الحروب وجوهرها الاجتماعي وآثارها من جديد مسألة دور الجماهير والقادة في الحرب وفي شرعية تطوّر الفن العسكري.

وقد تطورت الاستراتيجية السوفيتية بسرعة بعد ثورة أكتوبر على يد (فلاديمير ايبتيش لينين) الذي كشف عن جوهر وطبيعة الحرب وأنواعها وبعد الحرب العالمية الثانية قام السوفيت بتطوير ترسانتهم الحربية بسرعة فائقة مما سمح لهم بتفوق حاسم على الاستراتيجية الغربية، خاصة أن الأحداث أثبتت القدرة السوفيتية الفائقة على حسم النزاعات لصالحها، فقد تمكنت قوات حلف وارسو من إخماد الثورة المضادة في تشيكوسلوفاكيا في ربيع ١٩٦٨، كما أن العملية الاستراتيجية للسوفيت في أفغانستان في عام ١٩٨٠ أثبتت حرية الحركة السوفيتية.

وحتى بداية السبعينات كانت العلاقة الكمية بين القوات المسلحة الاستراتيجية في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي تقريباً متساوية ولكن مع وضع المبادئ الجديدة في الأساليب التكنولوجية العسكرية، بدأ سباق محموم من أجل تطوير الصواريخ الاستراتيجية، وبدأ السابق الأمريكي الغربي مع السوفيت، الأمر الذي دفع كلاهما في الدخول في مباحثات الحد من انتشار الأسلحة النووية فظهرت مجموعة معاهدات كان أهم ما يميزها إحساس الطرفين بعدم الثقة في الطرف الآخر، خاصة بعد ظهور برنامج التسلح في مجال حرب النجوم، وقد ظهرت الرغبة السوفيتية في عدم السماح للغرب بالتفوق الاستراتيجي عليه بالرغم من أن برنامج حرب النجوم أوضح أسبقية الولايات المتحدة في هذا المجال.

من ناحية أخرى فإن برنامج حرب النجوم الاستراتيجي له تأثير خطير على سباق التسلح النووي. ففي تصريح لوزير الخارجية السوفيتي جروميكو في مباحثاته مع نظيره الأمريكي جورج شولتز في صيف خلال ١٩٨٥ للحد من سباق التسلح النووي أن بلاده ستضطر إلى زيادة قواتها

النوية الاستراتيجية إذا نفذت الولايات المتحدة برنامج حرب النجوم، وقد أكد جروميكو أن الحديث عن امكانية خفض الأسلحة الاستراتيجية لن يكون مجدياً ما لم يتحقق تقدم بالنسبة إلى المسائل المرتبطة بمخطر انتشار الأسلحة في الفضاء الخارجي، وأضاف أن التنفيذ العملي لبرنامج حرب النجوم سيدفع الاتحاد السوفيتي ليس إلى خفض قواته الاستراتيجية النوية بل إلى زيادتها، وقد ظهر ذلك واضحاً في المباحثات الأمريكية/ السوفيتية في جنيف حول نزع السلاح والصقي بدأت متجمدة، فالسوفيت يطالبون بإعداد اتفاقية نوية حول الأسلحة النوية والفضائية، في حين أن الأمريكيين مصرين على مراجعة بنود إتفاقية (سولت ١) حول الأسلحة المضادة للصواريخ، الأمر الذي دفع الجنرال نيكولاي شيفروف من هيئة الأركان السوفيتية إلى القول بأن بلاده لن ترد على مبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكي بمبادرة مماثلة، بل سعمل على وضع عدد كبير جداً من الصواريخ النوية الهجومية بحيث تضمن اشباع الدفاع الفضائية الأمريكية وعرقلة مبادرة ريجان من مصداقيتها.

من ناحية أخرى كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعمل من ناحيتها على دفع حلفائها الأطلسيين إلى زيادة قدراتهم النوية، فقد أعلن الجنرال الأمريكي (ابراسون) المسئول عن مبلدرة الدفاع الاستراتيجي (SDI) أن التطوير الأوربي في مضمار التكنولوجيا المتقدمة ضمن إطار برنامج EUREKA لا تتعارض مع المبادرة الأمريكية.

إن أهم المسائل المطروحة الآن على بساط البحث هي:

- ١ - هل اختلفت الاستراتيجية السوفيتية بعد انحلال الاتحاد السوفيتي.
- ٢ - موقف U.S.A وحلفاءها الغربيون من السوفيت الآن.

وبداية لا بد أن نشير إلى أن الاتحاد السوفيتي ومهما كان الجدل حول قدرة الهجوم التقليدي السوفيتي بعد انحلاله على دحر القوات الأطلسية دون استخدام السلاح النووي قادراً بالفعل على خلق نوع من التوتر لدى القوات الأطلسية، إن الاستراتيجية العسكرية السوفيتية الآن تشهد تحولاً كبيراً لا يمكن تجاهل امكاناته على مجمل الوضع العسكري في العالم كله.

لقد شككت وكالة المخابرات الأمريكية في أقوال صدرت من أعضاء في الكونجرس مفادها أن موسكو على وشك تحقيق تقدم نووي هائل (قبل انهياره) وعلى الرغم من تداعيات الاتحاد السوفيتي بعد ١٩٩١ إلا أنه من الواضح أن الولايات المتحدة لا تشكل حتى الآن في القدرة العسكرية الهجومية السوفيتية فمن الواضح أن السوفيت يسعون إلى امتلاك القدرة على حرمان الأطلسيين من استخدام الفضاء بحرية لذلك فالقدرات الروسية الحالية المضادة للأقمار الصناعية متطورة.

ومن الواضح أن المؤشرات الجديدة إنما تشير إلى أن الروس اليوم يقفون مع الولايات المتحدة على نفس المستوى من التطوير والتنوع والتخطيط للمستقبل وأنهم لم يتنازلوا عن مخططاتهم في ظل الاتحاد السوفيتي السابق.

إن المعلومات التي أكدتها مصادر وزارة الدفاع الأمريكية تؤكد أن الروس ماضون في تطوير الأسلحة الهجومية والدفاعية وقد أشار التقرير إلى الآتي:

١ - ظهور الجيل الخامس من الصواريخ العابرة للقارات SS-X-25-X-24 التي تخترق الغلاف الأرضي الجوي، ثم تعود برؤوسها النووية المتعددة ذات الأهداف المتعددة (Mirv) إلى أهدافها في القارة الأمريكية.

٢ - تحديث الأسلحة المضادة للصواريخ وبخاصة الصواريخ الموجودة حول مدينة موسكو، والتي ستكون قادرة على تدمير الصواريخ المعادية الأمريكية العابرة للقارات.

٣ - تطوير برنامج الاحات السوفيتية حول أنظمة استخدام أشعة الليزر ذات الطاقات العالمية لتدمير الأقمار الصناعية الأمريكية. سواء من محطات أرضية، أم من محطات فضائية.

٤ - تطوير قواعد دفع جبارة لصواريخ وسفن فضائية مأهولة أكبر من سابقتها وقادرة على البقاء في الفضاء مدة أطول. وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن المسئولون السوفيت اتخذوا من شعار اللحاق بالخصم ثم التفوق عليه دليلاً ومنهجاً في تعاملهم مع الغرب أو مع الولايات المتحدة أو الأثنين معاً من ثانياً خلف شمال الأطلسي.

ومن الناحية الجيوستراتيجية لا بد أن نعلم أنه ثمة أسباب وجيهة لاعتبار قيام حرب نووية في أوروبا احتمالاً ضعيفاً من الناحية الموضوعية فمحاذير المعسكرين المتنافسين ومصالحهما كبيرة ومحددة بوضوح وقائمة من أكثر من جيل إلا أن السيناريو الذي طغى على خطط حلف شمال الأطلسي هو افتراض هجوم مدرع سوفيتي ساحق عبر السهل الأوربي الشمالي.

إن هناك أسباب موضوعية تقتضي حفظ الردع الأوربي قائماً في أوروبا في مواجهة السوفيت في ميدانين رئيسيين:

أولاً: في الميدان النووي.

ثانياً: في الميدان التقليدي (العسكرية التقليدية).

(١) في تفاصيل ذلك: استراتيجيا - العدد ٤٣. سبتمبر ١٩٨٥، ص ٨١.



وفيما يتعلق بالميدان النووي فهناك كما سبق أن أوضحنا محاذير هائلة في الاستخدام ويبقى فقط فكرة التوازنات قائمة، حتى لو كان هناك نوع من الخلل في ميزان القوة النووية في أحد الاتجاهات فلا يعني ذلك أن هناك احتمال استخدام هذه الميزة من الطرف الآخر، ولكن يبقى اذن القدرة العسكرية التقليدية القادرة على حسم الصراعات. فما زالت القوة التقليدية هي الأساس في العلاقات الدولية وهي الأفضل من نواحي عدة أهمها:

- ١ - ليس هناك حدود على استخدامها (إذا استثنينا البتروكيماويات والبيولوجية).
  - ٢ - ليس هناك حدود على تطويرها.
  - ٣ - هي الأفضل في مجال فرض السيطرة العسكرية.
  - ٤ - هي الأرخص في مجال التطوير والبحث.
  - ٥ - تكنولوجيا التطوير في الأسلحة التقليدية يمكن بيعها بسهولة بدون محاذير دولية كما يمكن بيع الأسلحة منها.
  - ٦ - يمثل إنتاج الأسلحة التقليدية مورداً هائلاً من موارد الناتج القومي عكس الإنتاج النووي الذي يمثل عبئاً اقتصادياً، وعبئاً سياسياً في مواجهة الرأي العام العالمي والمحلي.
- كل هذه الأسباب تؤيد فكرة مرونة استخدام الأسلحة التقليدية إذا ما قورنت بالأسلحة النووية، لذلك فقد اتجهت الدول إلى اتباع استراتيجيات من شأنها:
- ١ - زيادة القدرة التنافسية في المجال النووي ( الاستخدام والتطوير هنا يتم من أجل الإبقاء على وضع قائم State que أو زيادة القدرة التفاوضية الأخرى).
  - ٢ - زيادة القدرة التقليدية في مجال التسليح التقليدي مع حرية الاستخدام والتطوير.
- وهذه الاستراتيجيات تسعى غالباً للسيطرة العالمية ولذلك كان على السروس إذا أرادوا اللحاق بالغرب الرأسمالي أن يوفر ركائز استراتيجية تعتمد على مقومات أساسية بدءاً من:
- ١ - زيادة القدرة التنافسية النووية مع الغرب والولايات المتحدة أو حلف شمال الأطلسي.
  - ٢ - الاعتماد على القدرة التقليدية الروسية وهي ذات كفاءة مشهودة.
- لقد أدرك الساسة السوفيت أهمية هذا الموقف بل وشاركته في ذلك اليابان وبعض الدول الآسيوية التي أتجهت إلى التحديث التكنولوجي للقوات التقليدية.
- "ومن الحقائق المعروفة أنه في نهاية الستينات ومستهل السبعينات تمتع السوفيت بمركز دولي مطرد القوة، أوحى إلى اقطابه بأن الحكم الماركسي اللينيني في إنقضاء عهد الرأسمالية

ومسايرة الاشتراكية وشيك التحقق، بما أن موازين علاقات القوة في صالحهم. بل أن مفهوم القادة السوفيت لفكرة الوفاق كانت تعني استقرار الأوضاع في أوروبا، بمعنى الاعتراف بالنفوذ السوفيتي في وسط وشرق القارة<sup>(١)</sup>.

ولقد اعتمد السوفيت في ذلك على قدراتهم التقليدية التي ساهمت بدور فعال في التوسع السوفيتي حتى في أماكن النزاع القطبي. لذلك اتجهت الولايات المتحدة على حس حلفائها الغربيين في زيادة قدراتهم العسكرية التقليدية وترك المظلة النووية على الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الاستراتيجية الأمريكية في القارة الأوروبية هي استراتيجية تعمل في الاتجاهات الآتية:

١ - زيادة القدرات العسكرية التقليدية الغربية (بمعنى زيادة قدرة الدول الأوروبية التقليدية في أوروبا) لأن القارة الأوروبية سوف تكون مسرح الأحداث الرئيسي في حالة حدوث صدام مسلح. وإذا لم تكن الدول الأوروبية قادرة في مواجهة القوة التقليدية الروسية فإن أحداث الحرب العالمية الثانية سوف تتكرر وبسرعة.

٢ - زيادة القدرات العسكرية التقليدية للدول ذات السمعة الجيدة في هذا الشأن خاصة ألمانيا وبريطانيا.

٣ - حث الدول الأوروبية على عدم الدخول في المنافسة الدولية وترك ذلك للولايات المتحدة ويؤكد ذلك موقف الولايات المتحدة من برنامج (يوركا النووي) وموقفها أيضاً من لجنة القضاء الأوربي (A.S.A) إذ ترى فيه الدول الأوروبية التحدي الأوربي والإصرار على إبراز أوروبا المستقلة وترى فيه الولايات المتحدة خروجاً على الاستراتيجية الأمريكية في القارة.

إن هناك أسباباً موضوعية تقتضي حفظ الردع الأوربي قائماً، لذا فإن الهدف الأوربي في الإبقاء على مستوى محدد من الردع قائماً إنما يمثل أفضل الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها لمنع نشوب حرب في أوروبا، إن الردع الأطلسي والدفاع التقليدي لحلف الناتو هدفه هو حرمان الروس من أي أساس منطقي يجعله واثق من إحراز نصر بحرب خاطفة غير نووية، إن قدرات الردع الأطلسية التقليدية هي شرط من شروط إدارة التنافس في العالم، أن الولايات المتحدة ترغب في إعلام السوفيت بشكل مباشر أنها على استعداد لإستخدام القوة العسكرية عند تعرض أي من مصالحها الهامة لأي خطر في مناطق النزاع الإقليمية<sup>(٢)</sup>.

(١) في ذلك: أ. د. شفيق بسوي. البوسترويكا من منظور غربي - مجلة المنار. غير محدد التاريخ.

(٢) في احتمالات التدخل الروسي في الشرق من الاتجاه إلى العرب.

د. عماد جاد، مرجع سابق - ص ٢٤٣.

استراتيجية. العدد ٤٤.

ولا بد أن نشير أن هناك تحفظ أوربي على زيادة نفقاتهم الدفاعية لتطوير أسلحتهم التقليدية وذلك لفضيلهم الاعتماد على الردع النووي لذلك فقد تطلع هؤلاء الحلفاء إلى حيازة قوة نووية وطنية على غرار النموذج البريطاني والفرنسي.

إن الاستراتيجية الأمريكية في أوروبا مازالت حتى اليوم ترى في السوفيت ذلك القلب القادر على السيطرة الإقليمية في أوروبا والمنافس في المناطق الآسيوية لذلك فقد عملت هذه الاستراتيجية على جعل هذا القلب قلب ميت عن طريق:

١ - الاعتماد على الحلفاء وتنمية قدراتهم التقليدية.

٢ - تطويقه في المناطق الإقليمية.

٣ - إقامة نظام للردع.

٤ - التأثير عليه إقتصادياً.

رابعاً : تطور العقيدة الاستراتيجية والأمنية للحلفاء في ضوء الجيوبوليتيكا الأمريكية:

من المتفق عليه أن الدول تتجه إلى تشكيل أحلاف من أجل تحقيق هدف مشترك أو أهداف مرحلية متكاملة، وتفكك الاحلاف بعد تحقيق الهدف المشترك، ولقد ذهبت معظم الآراء المنطلقة من المدرسة الواقعية إلى التأكيد على أن الأحلاف لا تدوم طويلاً، فلأنها تشكل هدف محدد فهي غالباً ما تفكك بمجرد تحقق هذا الهدف أو الفشل في تطبيقه، أو نتيجة الانتصار في حرب أو الهزيمة، إنما تفتقد فكرة الاستمرارية والدوام.

إن الأحلاف في أحسن صورها لا تتعدى المعاهدة الدولية القائمة على تحقيق أهداف محددة، وينتهي وجود الحلف بإنهاء أهداف المعاهدة المنشأة له، إلا إذا تم تطوير العقيدة الاستراتيجية للحلف ليتلائم مع التطورات الجديدة وما يبرر بقاءه مع احتمالية خروج أعضائه أو دخول أعضاء جدد في الحلف. ويمكن ارتباطاً بذلك تقسيم الأحلاف إلى :

١ - أحلاف ذات أهداف مرحلية:

وهي تلك الأحلاف متعددة الأهداف أو أن يكون لها هدف واحد مستمر في العمل به مع تطوير العقيدة الاستراتيجية له، وقد تتسم أهداف الحلف بالحدودية في فترة الإنشاء ثم تظهر متغيرات تقتضي تطويره للإستفادة من القوة الضاربة للحلف لتحقيق أهداف تتناسب مع التطورات المستقبلية.

ويعتمد استمرار الحلف على مدى تماسك أعضائه ومدة الارتباط الاستراتيجي الأيديولوجي فيما بينهم، ومدى اعتماد أطراف الحلف عليه، ومدى ارتباط الحلف بالتواحي الاقتصادية والسياسية وغيرها.

## ٢ - أحلاف غير مرنة:

هذا النوع من الأحلاف يتميز بوجود معاهدة تعمل في المجال العسكري ولا تنطرق غالباً إلى المجالات الأخرى، وتسيطر عليها قوة قطبية تسيطر بقوة على بقية الأعضاء.

إن هذا الحلف قد يكون له أهداف أيديولوجية، لذلك فتماسك أعضائه مرهون بمدى إيمانهم بأيديولوجية الحلف.

من ناحية أخرى لا بد أن نشير أن واضعوا النظرية العامة للأحلاف قد حددوا خمسة عناصر توضح مدى استمرارية الحلف أو انتهائه، إلا أن هذه العناصر لم تعرف الثبات وفي اعتقادنا أن هناك عوامل أخرى تؤثر في استمرارية عمل الحلف وبقائه وهي:

## ١ - حجم المشاركة في اتخاذ القرارات:

فمن الواضح أنه كلما كان هناك ديمقراطية في اتخاذ القرار داخل الحلف كلما كان ذلك أدعى إلى زيادة الترابط والتماسك داخل الحلف، وهذا الترابط يؤدي إلى الرغبة في استمرارية عمل الحلف.

إن زيادة حجم المشاركة يدفع بالدول المشاركة فيه إلى زيادة الاعتماد عليه والرغبة في الإبقاء عليه، فلا تفرض سياسة إلا بإرادة الحلف، حتى أن الدولة القطب قد لا تستطيع أن تسير الحلف إلا بإرادة مجموع أعضائه لذلك فمن الطبيعي أن نجد أعضاء غير مرتبطين بأهداف الحلف على إطلاقها.

إن زيادة حجم المشاركة غالباً ما يؤكد ويرزان حجم المصالح المشتركة للدول الأعضاء أكبر من حجم المعارض فيها، لذلك يفضل أعضاء الحلف الإبقاء عليه واستمراره.

إن زيادة حجم المشاركة إنما يؤكد أيضاً أن أهداف الحلف قد تتطور بناء على زيادة الرغبة في التعاون المشترك بعيداً عن النصوص الصريحة في معاهدة الحلف، لذلك يظل عمل الحلف مرهون بمدى تقدير الأعضاء للحلف وللثقة المتبادلة فيما بينهم.

## ٢ - الارتباط الأيديولوجي والقيمي بين الأطراف:

من الواضح أن الأفكار الأيديولوجية لها أهمية قصوى في مدى ترابط عناصر الحلف إلا أن هذه الأفكار قد تكون أيضاً من عناصر الضعف داخل التحالف.

إن الارتباط الأيديولوجي قد لا يؤدي إلى الترابط بين أعضاء الحلف ولكن إذا ما تراكمت الأفكار الأيدلوجية وتلاقت الخصائص الاجتماعية لأعضاء الحلف كان ذلك مدعاة لاستقرار عمل الحلف.

### ٣ - مصداقية الارتباط بين الأطراف في الحلف تاريخياً:

من المعارف عليه أنه كلما كان هناك ارتباط تاريخي بين الحلفاء وكلما كان ذلك مدعاة إلى قيام نوع من الثقة المتبادلة بينهم.

### ٤ - مدى نجاح أو فشل تجربة الحلف عند الخصم:

في مجال الأحلاف التنافسية يؤدي أفعال الحلف المضاد إلى زيادة قدرات الحلف المنافس وزيادة الاعتماد عليه لأن نجاحه يعني زيادة حجم التعامل بين أعضائه إلى أن يتطور الحلف إلى شكل منظمة تعمل في مجالات دفاعية وسياسية واقتصادية وغيرها كما قد يتطور هدفه إلى السيطرة العالمية.

إن أفعال أي نظام يحتوي على فاعلين رئيسيين وظهور لاعب رئيسي يؤدي إلى ظهور الأفكار المتعلقة بالسيطرة والسيادة العالمية، الأمر الذي يؤدي إلى الرغبة في تقوية أدوات السيطرة والقضاء على الأعداء المحتملين كتمهيد للسيطرة العالمية.

### ٥ - التخبر في إدراك التهديد:

تظهر الأحلاف عادة في فترات يتحدد في ضوءها العدو الأساسي أو مصدر التهديد الرئيسي، كما يتم تحديد مصدر التهديد المحتمل، لذلك فمع أفعال مصدر التهديد الرئيسي تظهر في الصورة مصادر التهديد المحتملة.

ومن الواضح أن حلف شمال الأطلسي من طبيعة الأحلاف المرحلية فقد تطور الحلف من أهدافه ومن ثم تحول إلى تكتل يعمل في اتجاهات مختلفة منها أو على رأسها الأهداف الاستراتيجية وهي أيضاً أهداف مرحلية تختلف باختلاف طبيعة الخصم أو ترتيب سلم التعامل مع الأعداء وهو أهم ما يميز هذا الحلف. بل ويرزح حلف شمال الأطلسي بطبيعة مختلفة عن الأحلاف السابقة عليه.

لقد انتهت فكرة التحالفات السابقة على هذا الحلف بإنهاء هدفها بل أنها قد انتهت قبل انتهاء هذه الأهداف، وأصيب الحلف المضاد بحالة فقدان لقدراته على الاستمرار وكان ذلك من أهم أسباب استمرارية حلف الأطلسي بالإضافة إلى أسباب أخرى من أهمها:

١ - زيادة حجم المشاركة في هذا الحلف.

٢ - طبيعة الارتباط الأيديولوجي والقيمي بين أطرافه.

- ٣ - الترابط التاريخي بين أطرافه.
- ٤ - العضوية الغير قسرية.
- ٥ - عدم اتخاذ أية إجراءات قسرية بين أي من أعضائه.
- ٦ - فشل تجربة الخصم.
- ٧ - الاتفاق على إدراك الخصم المنتظر.

وهذه الأسباب أدت إلى استمرارية عمل الحلف بالرغم من بعض اتجاهات مناوئة لبعض أعضائه إلا أن هناك نوع من القبول العام لسياسات هذا الحلف عند أعضائه لذلك تأكدت العقيدة السياسية والاستراتيجية للحلف.

#### ١ - تطوير العقيدة الاستراتيجية للحلف:

اتجهت الولايات المتحدة إلى تأكيد أفكار سيكمان الجيوبولتيكية فقد رأى سيكمان أن الهلاك الهامشي الذي يحيط بقلب الأرض مفتاح السيطرة العالمية ولهذا يسمى هذه المنطقة بالإطار Rimland وتضم هذه المنطقة أوروبا الغربية والشرق الأوسط والهند وجنوب شرق آسيا.

وفي الاستراتيجية الأمريكية ترى الولايات المتحدة أن المنطقة الأوربية واقعة تحت تمديد عدوين رئيسيين هما الاتحاد السوفيتي وألمانيا بعد توحيدها، ومرحلياً ترى الاستراتيجية الأمريكية ضرورة مواجهة السوفيت وتحويل منطقة قلب الأرض إلى قلب ميت عن طريق سيطرتها على منطقة الإطار ولذلك كان من الضروري احتواء ألمانيا لتكون منطقة تكتل أوربي لأنه بدون ألمانيا لن يكون هناك إطاراً يحتوي القلب.

ولهذا فإنه إذا كان لقوى الإطار أن تنجح في تكوين وحدة أوربية غربية فإن هذا النجاح يتوقف على أن تفرض أوروبا الموحدة سلطانها المطلق على البحر المتوسط كله والشرق الأوسط كخطوة أولى ثم السيطرة على بقية أفريقيا وإستراتاليا تمهيداً للأستيلاء على بقية الاطار في آسيا الجنوبية والشرق. وهذا الأمر يعتبر من باب المستحيل، وإن حدث فلا بد أن يكون هناك تفاهم بين الدول الأوربية وقوة قلب الأرض Heartland أو القوة الأمريكية، لذلك عملت الولايات المتحدة على تأكيد فكرة النسق أحادي القوة القطبية، بإخراج السوفيت من المنافسة على السيطرة العالمية، وأسرعت الولايات المتحدة إلى تكوين التكتل الأوربي لمواجهة الروس والقضاء على النزعة الألمانية الاستقلالية وبذلك تكون حققت هدفين:

الأول : استبعاد ألمانيا ولو مؤقتاً من لائحة الأعداء.

الثاني: تطويق منطقة قلب الأرض لإبقاء الروس بعيداً عن قوة السيطرة العالمية.

فألمانيا تعتبر اليوم جغرافياً وبشراً الحلقة القوية في الدفاع عن أوروبا، كما أن وجودها داخل حلف شمال الأطلسي يجعلها مسرح المواجهة المتوقعة بين الشرق والغرب.

## ٢ - تطوير العقيدة الأمنية الجديدة لحلف شمال الأطلسي:

من المعارف عليه أنه وعلى مدى ٥٠ عاماً قام حلف شمال الأطلسي بتأمين أطول فترة من السلام في تاريخ أوروبا، ومن الواضح أن العالم قد شهد تغيرات جذرية على مدى نصف قرن الماضي، بل أن مفهوم العولمة أثر على مفهوم الأمن الذي اتسع لكي يشمل قضايا اقتصادية واجتماعية وإنسانية.

إن حلف شمال الأطلسي قد شهد بعض التغيرات وأصبح حلف الأطلسي الجديد الذي خرج من قمة واشنطن مستعداً للألفية المقبلة، لقد أصبح مستعداً لتطوير فكرة الأمن لتشمل مناطق عديدة في العالم ليؤكد من ثنائها فكرة السيطرة العالمية.

إن الإشارة إلى مدى ارتباط الأمن الأوربي بالأمن الأمريكي هو إشارة ضرورية في هذا المجال عند وجهة النظر الأمريكية فإنهم يسمون إلى التوازن الدفاعي بينهم وبين السوفيت حتى الخمسين سنة الأولى من القرن المقبل وبالتالي فالحفاظ على السلام هو واجب مقدس على الولايات المتحدة وحلفائها وقد يد السالم قائم حالياً وهو يتطور وسيواصل تطوره بحيث أن الشكل البشري الذي سوف يتخذه في بداية القرن القادم سيكون مختلفاً تماماً عما هو الآن، ولهذا فإنه من المهم إعداد سبل ووسائل الوقاية منه والرد عليه من الآن.

إن الاتحاد السوفيتي سوف يظل يمثل التهديد الرئيسي الموجه ضد الولايات المتحدة وحلفائها، فقد طور منذ خمسة عشر سنة منظومة أسلحته الهجومية بوتيرة غير منتظرة وحسن تحسناً هائلاً من قدرة منشآته العسكرية على مقاومة الضربات مع زيادة عظيمة في أداء أسلحته ومن دقتها في مهاجمة الأهداف، وهو بهذا يطرح مشكلة خطيرة بالنسبة لمنشآت الحلفاء الأرضية التقليدية والنووية، مما يفقد القدرة الاستراتيجية للحلفاء أية أهمية، لذلك اتجه قادة الحلف مع انهيار الاتحاد السوفيتي إلى إدخال تغيرات جوهرية على هيكل الحلف وعقيدته العسكرية للتأقلم مع البيئة الأمنية الجديدة في أوروبا، ولم يعد الحلف منظمة للدفاع الجماعي، حيث اتسعت أهدافه الأمنية، فأصبحت الحفاظ على الاستقرار في أوروبا ومواجهة الاضطرابات في كافة أرجاء العالم.<sup>(١)</sup>

إن الولايات المتحدة ارتباطاً برغبتها في حماية حلفائها الغربيين تعمل في حثمة اتجاهات رئيسية تتم كلها من ثنائها الحلف وهي:

- ١ - ترتيب منظومة أسلحتها النووية الهجومية بحيث تتفوق على القدرة الدفاعية الروسية.
- ٢ - حث الحلفاء الغربيين على بذل الجهود اللازم لتحقيق تطوير وتحسين فيما هو قائم، ويؤكد ذلك ترحيب الولايات المتحدة بالتحسينات التي أدخلها الفرنسيون والبريطانيون على أسلحتهم النووية والتقليدية.
- ٣ - إن الولايات المتحدة ستواصل العمل في المبادرات الأمنية الاستراتيجية مسهما تغيرت الظروف فما زال الروس يشكلون العدو الأول للولايات المتحدة والحلفاء الغربيين.
- ٤ - الإبقاء على التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة ودول أوروبا قائماً لإيجاد منظومة دفاعية تعتمد على الأسلحة التقليدية.
- ٥ - التعاون التام مع الحلفاء من ثانيا الحلف أو من ثانيا العلاقات الخاصة ببعض الدول الأوروبية أو الدول الحليفة.

فهناك معلومات مفادها أن الحكومة البريطانية تعد مشاريع قوانين جديدة صارمة تقضي بالسماح للولايات المتحدة بالسيطرة على مناطق استراتيجية في أوروبا في حالة نشوب حرب<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى فقد جعل حلف شمال الأطلسي من اليابان جبهة عسكرية أنيطت بها مهمة تهديد الروس بشكل مباشر، لذلك تعمل الولايات المتحدة جاهدة لتعزيز قوة اليابان العسكرية. ناهيك عن تعهد اليابان بتأمين غطاء جوي للولايات المتحدة يحول دون فاعلية الصواريخ السوفيتية<sup>(٢)</sup>.

ولابد أن نشير هنا أن بعض الدول الأوروبية ذات الاتجاهات استقلالية عن الولايات المتحدة كفرنسا. أما فيما يتعلق ببريطانيا فيمكن القول "أن فترة الانقطاع البريطانية عن متابعة النشاطات الفضائية السابق طبعها آثارها الملموسة على أوضاعها الحالية. وتحتاج بريطانيا إلى جهود كبيرة للحاق بمستوى بعض الدول الأوروبية كفرنسا مثلاً، قبل أن تفكر في مجاراة التطورات السريعة الواسعة في روسيا أو الولايات المتحدة، وسوف تطرح في يوم من الأيام على المسؤولين البريطانيين مسألة الاختيار بين التعاون الفضائي الأوربي والتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في المجالات التقنية..". حيث تبدو الإنجازات المتعلقة بالفضاء هذه الأيام كصفة من صفات الشخصية الوطنية لكل أمة.

(١) كانت مجلة نيو ستيمان التي نشرت الخبر قد أكدت أن اتفاقاً سرياً اسمه المخطط اللوجستية المشتركة، قُدم بين لندن وواشنطن وأنه تضمن وعداً بالتخلي عن قسم من المنشآت المدنية والعسكرية البريطانية للأمريكيين.

استراتيجيا - العدد ٤٤ / أكتوبر ١٩٨٥، ص ١٤.

(٢) العدد نفسه - ص ٤٣.



إن أوروبا في مرحلة تحتاج فيها إلى الولايات المتحدة حيث أن مشاريع الوكالة الأوربية لم تظهر خطوطها بعد، حتى أن اقتراح الرئيس الفرنسي ميتران لفكرة مشروع أوريكسا (Eureka) الذي كان يأمل أن يستقطب اهتمام الدول الأوربية في مواجهة الولايات المتحدة في التعاون معهم في مبادرة الدفاع الاستراتيجي لم يلقى أي اهتمام جدي.

والمشكلة ليست إذن بريطانية بمقدار ما هي أوربية وزمن الإختيار لا يزال مفتوحا أمام الدول الأوربية ولن تستطيع أوروبا ان تحزم أمرها حتى تزيد من إمكاناتها وقدراتها على حماية أمنها على الصعيد الفردي ثم على صعيد التعاون والمشاركة.

خامسا : عولة الأطلنطي:

لسنا في حاجة إلى التأكيد أن فكرة عولة الأطلنطي التي أثرت بمناسبة أحداث كوسوفا هي تأكيد للجيوبوليتيكا الأمريكية الرامية إلى السيطرة عاليا، وعولة الأطلنطي تعني:

١ - انقيار دور الأمم المتحدة، باعتبارها منظمة للأمن الجماعي وأعتبار الولايات المتحدة وحلفائها مصدر القرار الدولي، وهذا يعني القدرة على التصرف بدون العودة إلى مجلس الأمن وهو ما حدث في كوسوفو، وتؤكد وثائق الحلف التي نشرت بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيسه على أن الأمم المتحدة لم تعد قادرة على التعبير عن طموحات دول الحلف، فهذه المنظمة ضعيفة تنافس حلف الأطلنطي في دول العالم الثالث أن حركة التاريخ تؤكد على ضرورة خلق شكل جديد ومتطور يقوم بالغاء U.N وإنشاء منظمة جديدة قُصد إلى سيادة نموذج دول الحلف.

٢ - أن الولايات المتحدة هي التي تميز بشكل أو بآخر الاستراتيجية العالمية الجديدة والتي تميز للحلف القيام بمهام وعمليات خارج إطار المادة الخامسة من ميثاق الحلف التي قصرت استخدام القوة المسلحة على حالة تعرض إحدى الدول الأعضاء في الحلف فقط للهجوم العسكري.

٣ - تطوير مبادئ الحلف في منظمة للدفاع إلى منظمة للأمن الجماعي، فمن الواضح أن فكرة الدفاع والأمن قد تحولتا إلى فكرة جديدة هي فكرة الدفاع الجماعي Collective defense على اعتبار أنها المهمة الرئيسية للأعضاء في المرحلة المقبلة، وقد أكدت المناقشات التي دارت بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحلف أن النية معقودة على ألا تكون هناك حاجة إلى نشر قوة عسكرية مقدما، وإنما ستلعب وقوات التدخل السريع دورا رئيسيا في استراتيجية الحلف الجديدة، على ان تشكل هذه القوات من القوات المسلحة متعددة الجنسية (GFAM)

وروظيفتها ضم وإدماج الوحدات المتماثلة من الدول الأعضاء والدول غير الأعضاء إذا لزم الأمر، أما قيادة هذا الكيان فتكون إما للحلف أو للأوروبيين.

٤ - توسيع الحلف بضم دول جديدة إليه، فقد وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على فكرة التوسيع بأغلبية ٨٠ صوتاً مقابل ١٩ صوتاً، وإن لم يمنع ذلك من الاشارات التي تحد من عملية توسيع الناتو. من ناحية أخرى فهناك اختلاف في وجهات النظر في عمليات توسيع الحلف. فقد يعني البعض بأن عملة توسيع الحلف تعني زيادة قدرات الحلف على العمل، ويعني بها البعض ضم عدد جديد من الأعضاء إليه.

ولا بد أن نشير أن عملية توسيع قدرات الحلف هي فكرة متفق عليها فيما بين الدول الأعضاء في الحلف ارتباطاً بالتغيرات الدولية الجديدة، ولا خلاف عليها برغم بعض الخلافات الأمريكية - الأوروبية حول تفاصيل الاستراتيجية الموحدة للحلف، إلا أن الكل متفق على توثيق المفهوم الاستراتيجي للحلف، حتى أن فرنسا لم تحف في أي لحظة رغبتها في تحديث الحلف فقد أعلن الرئيس الفرنسي جاك شيراك في أول حديث له عقب توليه السلطة في قصر الاليزيه، أن من بين أهدافه تحديث الحلف إلى جانب إنجاز الأتحاد الأوربي وإيجاد قاعدة أوروبية للدفاع.

أما الاتجاه الثاني الذي يرى ضرورة ضم دول عديدة للحلف فهو اتجاه أوربي أمريكي أيضاً يهدف إلى:

١ - إدخال دول جديدة مثل النمجر، وبولندا، وجمهورية التشيك وغيرها لأعضاف القدرات الروسية المستقبلية، فإدخال هذه الدول في حظيرة الحلف سوف يحبط استراتيجية الروس في السيطرة عليها مرة أخرى، إذن فقد ابرز الدوافع الواضحة هنا هي الرغبة في الانتقام من موسكو والخوف الدائم من أن يأتي التهديد العسكري من الشرق الأوربي.

٢ - زيادة القدرة العسكرية التقليدية للحلف بعد تحديثها.

٣ - ملئ الفراغ في قلب أوروبا الوسطى (المركزية) لأن هذا الفراغ سوف يؤدي إلى ظهور مؤامرات جيوبولوتيكية عديدة.

٤ - القضاء على فكرة ظهور أحلاف جديدة في أوروبا.

٥ - خفض النفقات الباهظة، لأن الانفاق الجماعي اقل كثيراً من تكاليف الدفاعات الفردية، فالثابت أن اختفاء الأتحاد السوفيتي أفرز معطيات أشد تنوعاً وخطراً على الأمن الأوربي من أي وقت مضى وسيبقى الحلف هو الضمان القوي لهذه التهديدات في بداية القرن المقبل.

إن عولة الأطلنطي بدأت فعلاً من أوروبا عن طريق إعادة تشكيل الجيوستراتيجية الأمريكية بعد انحلال الاتحاد السوفيتي، وإعادة ترتيب البيت الأوربي من الداخل بالقضاء على بؤر الصراع داخل أوروبا.

إن الدراسات الصادرة عن الحلف في دورته الأخيرة تؤكد أن الأفكار الاشتراكية لم تكن الأساس في السياسة الخارجية في أوروبا ولكن الاعتبارات الجيوستراتيجية هي التي أكدت للجيوستراتيجية الأمريكية، لذلك فهناك من يمثل قديماً حتى الآن. لذلك فالحلف في حاجة لتطوير استراتيجياته العالمية بحيث يكون هو المهيمن على الشؤون الدولية في الفترة المقبلة.

إن الدراسات الحديثة تؤكد أن تطوير استراتيجية الحلف مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة العولة. فالاعتبارات والمنطلقات الجيوستراتيجية هدفها السيطرة العالمية ومن ثم لن يتم تطوير استراتيجية الحلف إلا بالرجوع إلى المقدمات الجيوستراتيجية القديمة والحديثة في ذات الوقت والتي تؤكد أن العدو مازال قائماً وأن الأفكار الاشتراكية لم تكن ولم تعد هي الأساس في التصاميم، إن الخطر الأساسي الذي يهدد مصالح الحلف هو الاتحاد السوفيتي الذي يطبق أيضاً استراتيجية هدفها السيطرة العالمية، وهذه السيطرة تبدأ عادة من أوروبا ولذلك يجب على الولايات المتحدة الإسراع بضم أكبر عدد من الدول الأوروبية إلى حظيرة الحلف.

وتسعى روسيا حالياً للبحث عن حلفاء جدد أملاً في أن تستعيد مكانتها الدولية التي انحسرت عقب انتهاء الحرب الباردة وسيطرة الولايات المتحدة على العالم، ولأن لعبة التحالفات تركز أساساً على وجود مصالح متبادلة فإن هناك محوراً يجمع بين روسيا والصين والهند بدأ في الظهور وقد تجلت هذه الصورة بوضوح بعد قصف الناتو لمقر السفارة الصينية والهندية في بلجراد مما دفع بوزير الخارجية الهندي لزيارة روسيا وعقد لقاء مع نظيره الروسي لتنسيق المواقف بين البلدين وقد تمخض اللقاء عن توقيع شراكة استراتيجية<sup>(١)</sup> بين الجانبين وقد توقع المحللون السياسيون انضمام الصين قريباً مما يمهد القيام بحلف عسكري يضم الأطراف الثلاثة. ومن الواضح أن السوفييت ماضون في تنفيذ جيوستراتيجية هدفها العودة مرة أخرى إلى الساحة الدولية بالشكل الذي يمكنها من مواجهة الهيمنة الأمريكية وقد أثار التحالف الهندي - الروسي على المنطقة الآسيوية، لذلك يرى الخبراء الاستراتيجيون أن هذا الأمر قد يؤدي إلى تصاعد حدة الصراع بين الهند وباكستان وخاصة في ظل الأوضاع المتوترة بينهم حالياً ويتوقع الخبراء قيام

(١) وبالقول بدأ التحالف في تنفيذ الخطوط الأولى بتوقيع شراكة استراتيجية بين الهند وروسيا يمكن من خلاله تنمية القدرات العسكرية الهندية وتطوير الصواريخ بعيدة المدى إلى جانب تزويدها بطائرات ميج ٣٠، ٣١ وقاذفات بعيدة المدى في مقابل حصول روسيا على أموال تساعد في اجتياز أزمتها الاقتصادية.

إسلام آباد بالانضمام إلى تحالف آخر يحقق ميزان القوة في المنطقة الأمر الذي دفع الولايات المتحدة إلى دفع كوريا الجنوبية لتزويد باكستان بالصواريخ.

إن النظريات الجيوبوليتيكية الحديثة إنما تحد من خطورة اتفاق صيني روسي لأن ذلك يعني تطويق قطعة قلب الأرض من الشرق لذلك ترى دول الحلف ضرورة القضاء على البقية الباقية من الأفكار الشيوعية والعمل على تطوير الصين التي تهدد وحدة الحلف في النظام العالمي الجديد<sup>(١)</sup>.

إن الولايات ترى أنه من الضروري إيجاد منطقة أوربية تمثل منطقة رخاء واستقرار، عالم متناسق من الأفكار ينسجم في مبادئه، متطابق في موجهاته الاستراتيجية، متعاون في سياساته الاقتصادية، وهذا المبادئ لن تتحقق أوروبا إلا بغطاء من القوة الأمريكية القادرة على تخلص أوروبا من بؤر الصدام، ومن ثم تستطيع أن تتجه بعد ذلك للسيطرة العالمية. أما أولى مراحل عولمة الأطنطي وكمقدمة للتوسع لابد من ضم دول أعضاء من حلف وارسو القديم وبذلك ينسج الستار الحديدي على منطقة قلب الأرض في أوروبا أمام السوفيت ولينقل مركز الألعاب إلى منطقة آسيا بعد ذلك.

والأمر الجدير بالذكر أن عولمة الأطنطي سوف تمر بمجموعة من المراحل، وهي مرحلة الضم (ضم دول حلف وارسو القديم) أو ابتلاع هذه الدول داخل الحلف، ثم مرحلة الصراع مع السوفيت ومن معهم (العدو المرتقب) ثم مرحلة التوسع بضم المناطق المختلفة في العالم إلى مناطق النفوذ الأمريكي الأوربي.

وتشير المعلومات إلى أن مرحلة الضم وهي المرحلة الحالية سوف تعقبها مرحلة الصراع في منطقتين رئيسيتين:

١ - المنطقة الأولى: وهي منطقة آسيا (وجنوب شرق آسيا)، وهذه المنطقة هي منطقة الصراع الجديدة فمن المتوقع أن لا يكون للروس مكانا في أوروبا بعد ضم دول الحلف السابقين ولذلك سوف يعمل جاهدا على عدم غلق الباب الشرقي له لذلك سوف يواجه الحلف في منطقة آسيا، ومن المتوقع ان تقسم المنطقة إلى كتلتين على نفس نمط إنقسام أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، وتصبح هذه المنطقة هي منطقة الصراع المرتقب.

(١) العلاقات الصينية الروسية ونحولات النظام الدولي الجديد - د. ثناء فؤاد عبد الله - السياسة الدولية - العدد ١٣٧ - يوليو

٢ - المنطقة الثانية: وهي منطقة الشرق الأوسط بصفة مباشرة، وقد اتخذ حلف الأطلسي قراره المهم في هذه المسألة من خلال اعتبار منطقة الشرق الأوسط إحدى المناطق الحيوية للحلف، وذلك لتداخل المنطقة في نوعين من الاستراتيجيات، الاستراتيجيات الأمريكية المنفردة والخاصة بتأمين المصالح الأمريكية وحدها، واستراتيجيات حلف الأطلسي.

وتكشف الوثائق عن طبيعة المرحلة الثالثة من استراتيجيات الحلف بعد مرحلة الصراع وهي مرحلة التوسع والضم أو ما يعرف بمرحلة العولمة الانفرادية، وهذا المفهوم يعني سيطرة الحلف على مقدرات العالم، أما المرحلة الأخيرة والمقدر أن تبدأ بعد عام ٢٠٣٠ فهذه ستكون مرحلة الغزو والضم والعودة من جديد إلى مفاهيم الاحتلال العسكري ليتحول العالم إلى دولة عالية يحكمها مجلس إدارة حلف شمال الأطلسي.

إن الوثائق تؤكد أن الهدف الرئيسي للأطلسي في السنوات المقبلة ستركز في كيفية تطويع الأنظمة والمؤسسات الدولية للقبول بالمبادئ الديمقراطية الغربية وهذا التطويع سيحتاج إلى استخدام كافة الوسائل المتاحة ضد تلك الشعوب التي لا ترضى بمحضارة حلف الأطلسي.

إن حلف الأطلسي كما ذكر خافيير سولانا في الذكرى الأربعين مصمم على تغيير كل ذلك، ومن أجل هذا الهدف فإن الحلف قرر في واشنطن مواصلة مبادراته نحو جنوب شرق آسيا وشرق أوروبا، فتحن مضمون أن نلعب دوراً كاملاً في كل هذه المناطق.

إن الارتباط الوثيق بين الأمن الأمريكي والأوروبي أكدته أحداث كوسوفا الأخيرة، فأوروبا لم تستطع أن تعالج المشاكل الأوروبية بدون رد فعل للولايات المتحدة، إن كوسوفا أظهرت مجموعة من النتائج أكدت حاجة أوروبا للتمسك بالجيوبولتيكية الأمريكية وهي: (١)

١ - العجز الأوروبي في المجال الأمني في حدود القارة الأوروبية نفسها.

٢ - العجز الأوروبي عن احتواء الأزمات الأمنية الأوروبية.

٣ - ضعف الدور الروسي في السياسات الأوروبية.

٤ - الحاجة إلى الدور الأمريكي في القضايا الأمنية الأوروبية.

كل هذه النتائج أفرزت بدورها نوعاً من الهيمنة الأمريكية سواء في السياسات الدولية أو في إطار حلف شمال الأطلسي.

(١) د. حسن أبو طالب - حرب كوسوفو وحدود التغيير في النظام الدولي - السياسة الدولية - العدد ١٣٧ - يوليو ١٩٩٩ -

"وعلى الرغم من المحاولات المكثفة التي بذلتها الولايات المتحدة لأقناع الأعضاء الأوروبيين في الحلف برؤيتها للمفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف، فإن هذه الدول بدأت تعبر بقوة عن رؤيتها الذاتية المغايرة للرؤية الأمريكية وقد تجسد ذلك بوضوح في اجتماع وزراء خارجية دول الحلف في بروكسل ديسمبر ١٩٩٨" (١) إلا أن قمة واشنطن الأخيرة قد اقرت الرؤية الأمريكية للمفهوم الاستراتيجي للحلف بشكل فعلي.

خاتمة:

ومن المعارف عليه في مجال الجيوبولتيك أن الاستراتيجية الأمريكية مازالت حتى الآن مرتبطة بالنظريات الجيوبولتيكية التي تحذر من القوة التقليدية الروسية باعتبار المنطقة التي يشغلها الروس هي بمثابة قلب الأرض الاستراتيجي (٢).

ومن نظريات ماكيندر ١٩٠٤ ، ١٩٤٣ ، والتي ارتبط اسمه بنظرية قلب الأرض Heartland ، وهي النظرية التي شغلت الباحثين الألمان والأمريكيين في ذات الوقت. فقد أوضح ماكيندر أن تاريخ العالم سوف يصفه -نمأ سكان المناطق الداخلية العظيمة التي تشمل سهول شرق أوروبا وسهول شرق ووسط آسيا، ويرى ماكيندر أن الجزء الداخلي من أور آسيا (موجه لأن) هو مركز العالم وقد حذر من أن حكم أكبر كتلة أرضية في العالم يمكن أن يعطي الأساس لتبني السيطرة العالمية، وقد حذر ماكيندر من روسيا أو ألمانيا. وحذر أيضاً من قيام تحالف بينهما ولذلك فقد جاء حلف الناتو من الأتحاف الأمريكية الأوربية تطبيقاً لستراتيجية أمريكية تعمل على تطويق القوة الروسية أو في عبارة أخرى تطويق قلب الأرض. وحتى في أفكار كارل هاوسهوفر نجد يحذر من القوة الروسية ويدعوا إلى صداقة ألمانية سوفيتية للسيطرة العالمية، كما التقى هاوسهوفر مع أفكار ماكيندر في شأن شرق أوروبا، فقد كان ماكيندر يرى أن احتمال استيلاء الألمان على شرق أوروبا أو استيلاء الروس عليها هو مقدمة للسيطرة العالمية وتدعيما لنفوذ الدولة المنتصرة في التحكم في قلب الأرض وبعبارة أخرى كان ماكيندر يرى أن شرق أوروبا هو مفتاح التحكم في الجزيرة العالمية (جزيرة العالم) لأنه الطريق إلى قلب الأرض.

وارتباطاً بأفكار الجيوبولتيك سوف تبقى روسيا في منطقة هي بمثابة القلب الذي ينشد الأطراف في أوروبا الغربية والشرقية معاً ولذلك سوف يبقى حلف شمال الأطلسي طالما بقيت الاستراتيجية السوفيتية قائمة.

(١) د. عماد جاد - حلف الأطلسي والحرب في البلقان - السياسة الدولية - العدد ١٠٠ ص ١٠٢.

(٢) في ذلك:

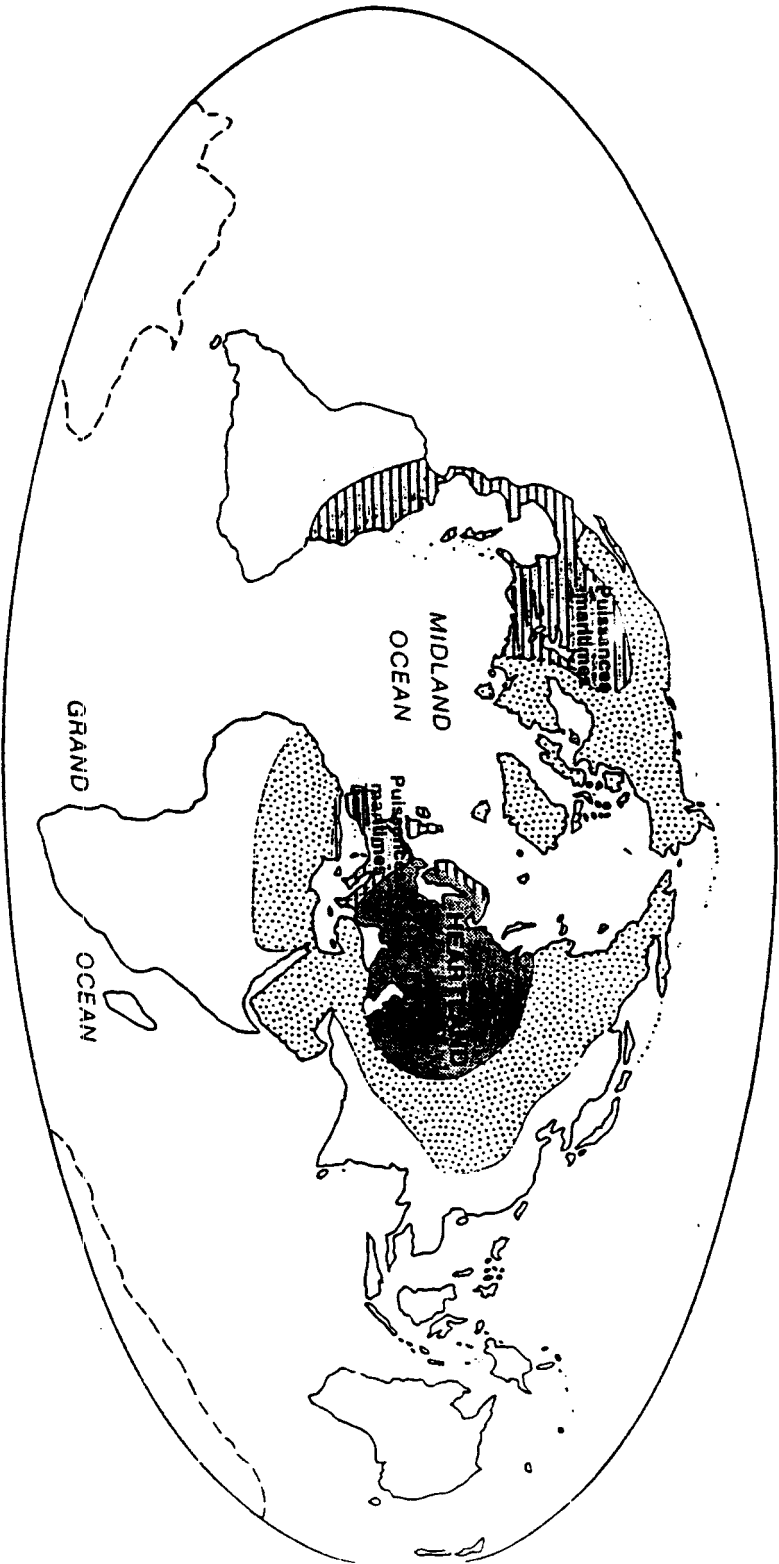
John Agvew - Geopolitics Re- Visioning world Politics - London and New York 1998

ومجموعة الخرائط الجيوبولتيكية مصدرها:

Gerald Chaliand - Zean - Pierre Rageau - Atlas Strategique Geopolitique des rapports de forces dans le monde.



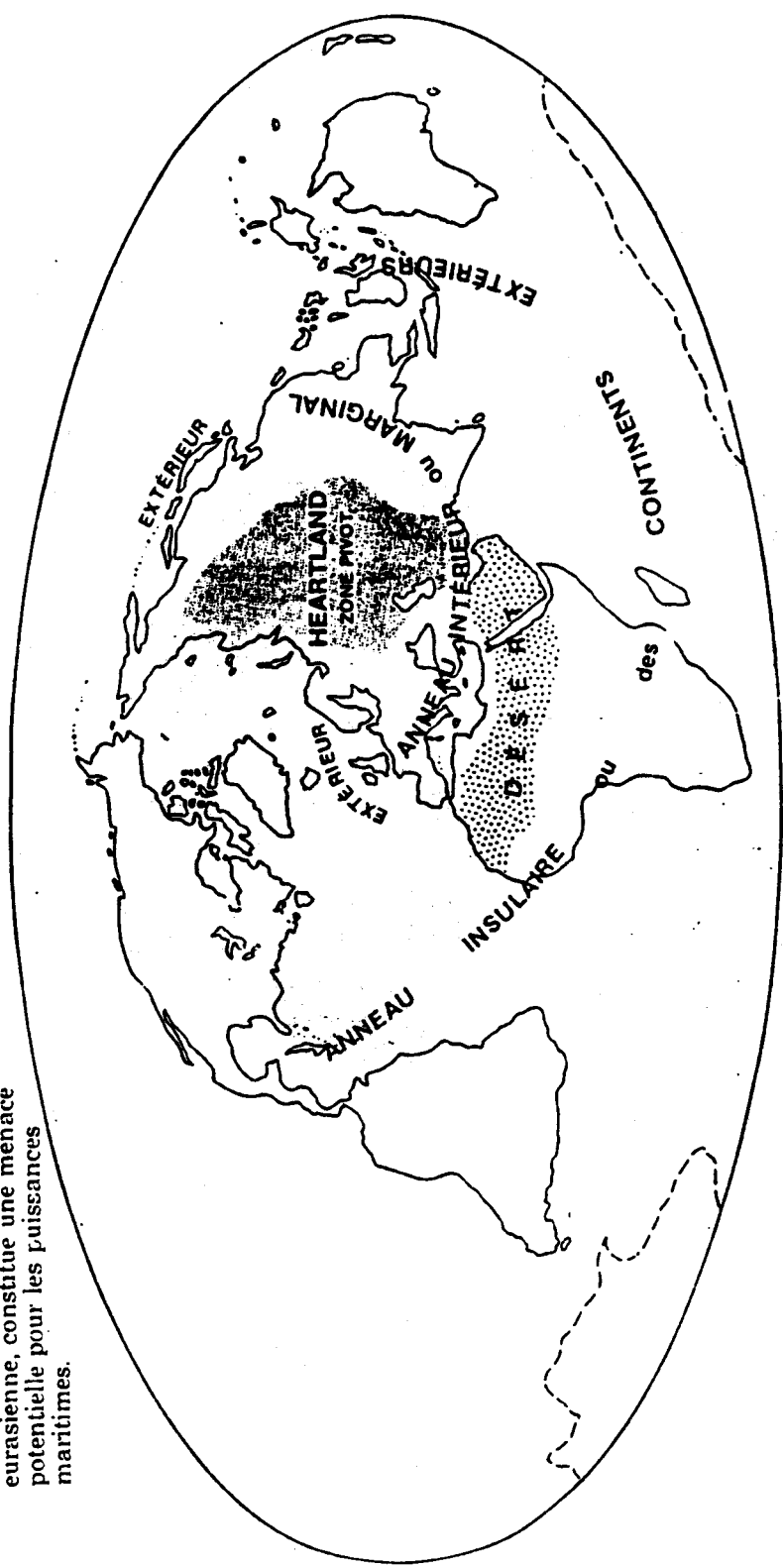
Le monde selon Mackinder (1943)

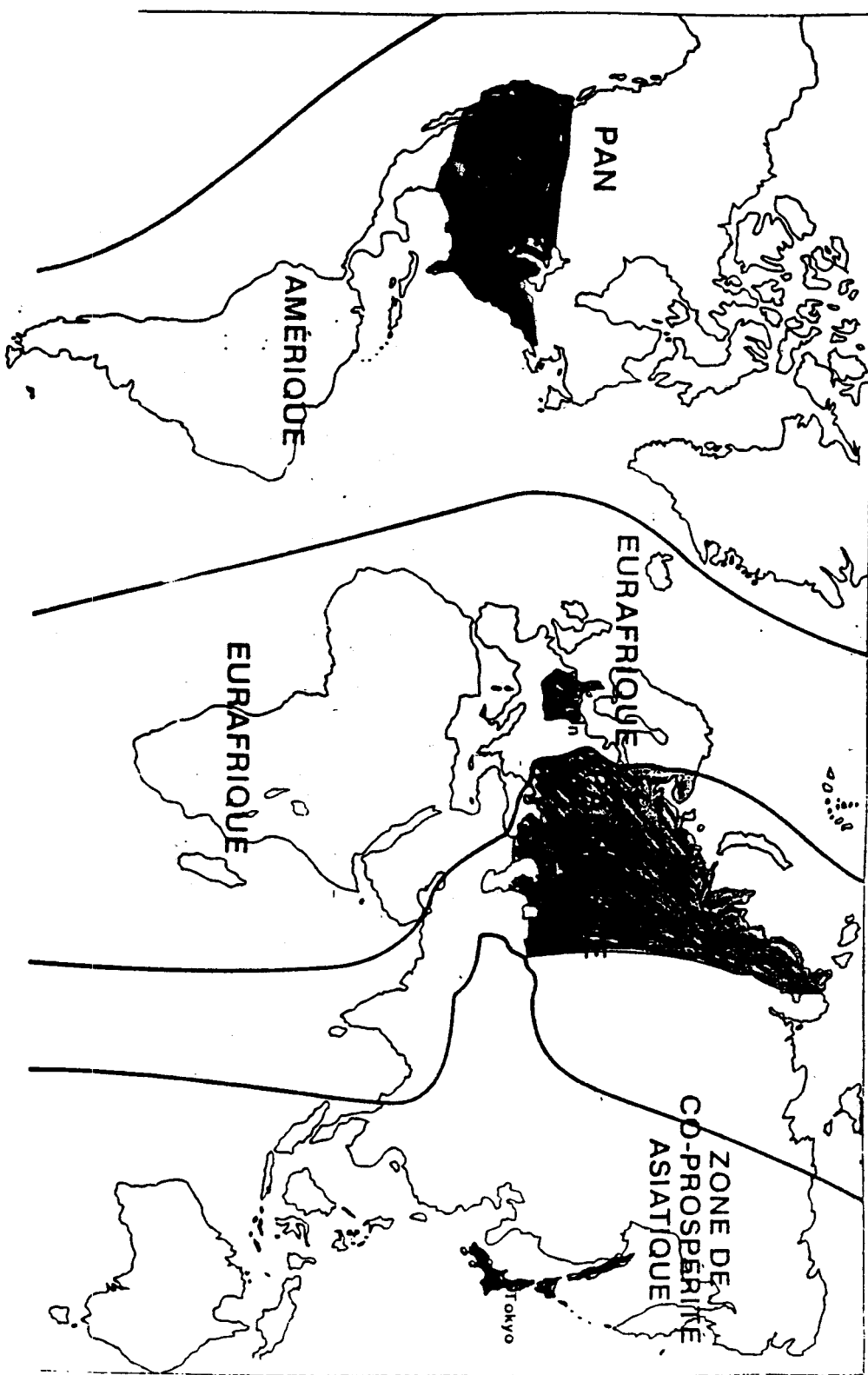




# Le monde selon Mackinder (1904)

Le contrôle de la zone pivot (*Heartland*), masse continentale eurasiennne, constitue une menace potentielle pour les puissances maritimes.





En tenant compte d'évolutions ou d'extensions inévitables, permanence des éléments de base mis en évidence par les géopoliticiens avant la seconde guerre mondiale :

- *Puissance continentale ou Heartland.*
  - *Puissance maritime.*
  - *Anneau maritime ou Rimland.*
- Apparition depuis 1945, avec l'indépendance de nouveaux États en Asie et en Afrique d'une ceinture inter-tropicale fragile et instable :
- *Anneau de sous-développement et de pauvreté.*

Émergence progressive d'un anneau austral détaché lié à la puissance maritime :

